

مجلـــة العلـــوم التربـــوية
والدراســـات الإنســـانيـــة
ISSN: 2709-0302 (online)



Humanities and Educational
Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)

مقومات التسامح وأثرها على الوحدة الوطنية(*)

د/ محمد بن سرار اليامي
أستاذ مشارك بقسم الثقافة الإسلامية
بكلية الشريعة بجامعة نجران

*) تاريخ تسليم البحث 16/6/2022 تاريخ قبوله للنشر 28/7/2022
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

مقومات التسامح وأثرها على الوحدة الوطنية

د/ محمد بن سرار اليامي
أستاذ مشارك بقسم الثقافة الإسلامية
بكلية الشريعة بجامعة نجران

المستخلص

للتسامح أثر كبير على وحدة الوطن؛ فلقد حرص الإسلام بمنهجه الوسط على حفظ الحقوق وصيانة الحُرَم، كما أرسى العديد من القيم والمبادئ التي تسعى إلى بناء شراكة حضارية بين أبناء المجتمع الواحد، والابتعاد عن الصدام والعداوة بين شركاء الوطن. وقد جاءت هذه الدراسة لبيان فضيلة التسامح بين أبناء المجتمع الواحد، وأثر ذلك على وحدة الوطن والنسيج الوطني. وقد هدفت هذه الدراسة إلى إبراز مفهوم التسامح في الثقافة الإسلامية، وكذا إبراز مفهوم التعددية الكونية وبيان موقف الإسلام منها، كما سعت أيضًا هذه الدراسة إلى بيان أثر التسامح على الوحدة الوطنية، والنسيج الوطني. وقد جاءت نتيجة هذه الدراسة لبيان أن الإسلام يرى أن الاختلاف لا يجوز أن يكون عائقا أمام توحيد جهود الناس وتعاونهم فيما بينهم، لا أن يكون منطلقاً للنزاع والشقاق بين الأُمم والشعوب، بل ينبغي أن يكون دافعاً إلى التعارف والتآلف بين الناس، وأن الاختلاف يؤدي إلى إثراء العالم بالمزايا المتجددة، والملكات المتعددة، والمواهب والاستعدادات المتنوعة. وقد جاءت توصيات هذه الدراسة بضرورة تفعيل الحوارات الحضارية التي تُعلي من شأن التسامح؛ لكونه فضيلة من فضائل الإسلام العظيمة، والمجتمع الإنساني بشكل عام.

الكلمات المفتاحية: مقومات، التسامح، الأثر، الوحدة الوطنية.

Constituents of Tolerance and Its Impact on National Unity

Dr. Mohammed Ben Sarrar Alyami
Associate Professor in Islamic Culture Department
Faculty of Sharia, Najran University, KSA

Abstract

Tolerance has a tremendous impact upon the unity of the country. That is why Islam, with its moderate approach, has always emphasized the importance of protecting the rights and sanctities of others and rooted many values and principles that seek to build a cultural partnership between the members of the same community and run away from causes of conflict, dissension and animosity among the people of the nation. This study, therefore, aims at presenting the virtue of exercising tolerance by members of the same community and illustrating its impact upon the society and the integrity of the homeland. This study further seeks to highlight the concept of tolerance in Islamic culture as well as highlighting the global pluralism and how it is viewed by Islam. This study further seeks to demonstrate the impact of tolerance upon both the national unity and the social wholeness. The study has concluded that Islam does not view difference as a justification for dissension and conflict between nations or a barrier obstructing the path towards unified efforts and close collaboration between the peoples of the world, rather than the driving force towards closer acquaintance and harmony between peoples and a God-given method to enrich the world with ever-renewed advantages, numerous gifts and broadly varied talents and propensities. This study has recommended to call for the urgent need to activate the civilized dialogues so as to enshrine tolerance as the greatest of virtues advocated by Islam in particular and by the human community in general.

Keywords: Constituents, Tolerance, Impact, National Unity.

المقدمة

إن الحمد لله تعالى نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ولا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

فإن التسامح خلق كريم، وفضيلة إسلامية كبرى، لا يصدر إلا عن نفس كبيرة وعقل راجح وقلب نقي طاهر.

وقد حث الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين على فضيلة التسامح، فقال عز وجل: ﴿وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن:١٤]، وقال تعالى: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٢٢].

ولا شك أن للتسامح أثرًا كبيرًا على وحدة الوطن؛ فلقد جاء الإسلام بمنهج وسط فيما يتعلق بأساليب التعامل الاجتماعي بين أبناء المجتمع الواحد فاحترز عن الصدام والعداوة بين شركاء الوطن، وحرص على حفظ الحقوق وصيانة الحُرَم، فأمر المؤمنين بالتزام الحُسن في كل ما يقولون، وإشاعة التسامح والعفو بين أبناء المجتمع الواحد؛ ليسد بذلك أبواب الفتنة على الشيطان الذي يتربص لإشعال العداوة بين بني الإنسان، يقول عز وجل: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ٥٣﴾ [الإسراء:٥٣]، ولم يفترض الإسلام مثالية المجتمع، بل انطلق من حقيقة اختلاف الطباع وتباين الآراء الإنسانية فوجه المسلمين إلى التحلي بالصبر في مواجهة ما قد يجدونه من الجفاء ممن يعاملونهم بالذوق الرفيع، وضرورة التزام الحسنى في ذلك، والتحلي بخلق التسامح والعفو، يقول عز وجل: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤﴾ [فصلت:٣٤]، كما أمر الإسلام بالعفو عمن وقعت منه الهفوة أو الزلة، يقول عز وجل: ﴿إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا قَدِيرًا ١٤٩﴾ [النساء:١٤٩].

وقد قمت في هذا البحث – بتوفيق الله وتسديده – على دراسة فضيلة التسامح بين أبناء المجتمع الواحد، وأثر ذلك على وحدة الوطن والنسيج الوطني.

أهمية الموضوع:

تنبع أهمية الموضوع من كونه يبين حرص الإسلام بمنهجه الوسطي على حفظ الحقوق وصيانة الحُرَمات، بإرساء العديد من القيم الإسلامية الحضارية، وعلى رأسها قيمة التسامح، الذي له أثر كبير على وحدة الوطن؛ حيث إن التسامح بمقوماته يعالج قضية كبيرة شائكة يعاني منها الوطن والمواطن، وهي قضية العنف والغلو، وانتشار الأفكار المتطرفة.

أهداف الموضوع:

أما أهداف البحث فيظهر من خلال النقاط التالية:

١- إبراز مشروعية التسامح ومصادره وتطبيقاته في الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى.

٢- إبراز أهمية تعزيز الوحدة الوطنية.

٣- إبراز مهددات الوحدة الوطنية وسبل مواجهتها.

٤- إبراز مقومات التسامح وسبل تعزيزها.

أسباب اختيار الموضوع:

الحث على نشر فضيلة التسامح بين أبناء المجتمع الواحد، وبيان أثر ذلك على وحدة الوطن والنسيج الوطني، مع بيان مهددات الوحدة الوطنية وسبل مواجهتها، وكذا إبراز مقومات التسامح وسبل تعزيزه.

الدراسات السابقة:

الدراسة الأولى: التعايش الإنساني والتسامح الديني في الإسلام -دراسة تأصيلية مختصرة-، عبد الفتاح بن صالح قديش اليافعي، كتاب قامت بطباعته مؤسسة الرسالة ناشرون، وقد جاء الكتاب في ثلاثة فصول، تناول المؤلف في الفصل الأول قضية التعامل مع أهل الذمة وأهل العهد والمستأمنين، ثم تناول في الفصل الثاني قضية التعامل مع أهل الحرب من غير المسلمين، ثم تناول في الفصل الثالث نماذج من التاريخ الإسلامي لتعامل المسلمين المتسامح مع غير المسلمين، ويختلف هذا البحث عن الدراسة الأولى المذكورة في أن هذه الدراسة ركزت على قضية التسامح وأثره على الوحدة الوطنية بين أبناء المجتمع الواحد، سواء اتفقت ملتهم أم اختلفت.

الدراسة الثانية: ثقافة التسامح والتعايش مع الآخر، أ.د صالح خليل أبو أصبع، ورقة عمل نُشرت عام ٢٠١٥م، وهي منشورة بالموقع الرسمي للباحث، تناول فيه الباحث قضية غياب التسامح بين شرائح المجتمع، وسيادة التعصب الفكري والقبلي والطائفي، ثم تناول مفهوم التسامح والتعايش بين ثقافة التنوير وثقافة التكفير، ويختلف هذا البحث عن الدراسة الثانية المذكورة، في أنه قد ركز بشكل أساس على بيان مشروعية التسامح وأهميته في تعزيز النسيج الوطني، وكذا بيان مهددات الوحدة الوطنية وسبل تعزيزها، كما قام بدراسة مقومات التسامح وسبل تعزيزها.

تقسيمات البحث:

البحث مكون من مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث، على النحو الآتي:

المقدمة، وفيها: أهمية الموضوع، وأهداف الموضوع، وأسباب اختيار الموضوع، والدراسات السابقة، وتقسيمات البحث.

التمهيد: وفيه بيان المفاهيم الخاصة بالبحث:

أولاً: تعريف المقومات لغة واصطلاحًا.

ثانيًا: تعريف التسامح لغة واصطلاحًا.

ثالثًا: تعريف الأثر لغة واصطلاحًا.

رابعًا: تعريف الوحدة لغة واصطلاحًا.

خامسًا: تعريف الوطنية لغة واصطلاحًا.

سادسًا: تعريف مقومات التسامح وأثرها على الوحدة الوطنية كمصطلح مركب.

المبحث الأول: بيان مشروعة التسامح، ومصادره، وتطبيقاته في الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مشروعية التسامح ومصادره، وفيه فرعان:

الفرع الأول: مشروعية التسامح.

الفرع الثاني: مصادر التسامح.

المطلب الثاني: تطبيقات التسامح في الثقافة الإسلامية، والثقافات الأخرى، وفيه فرعان:

الفرع الأول: تطبيقات التسامح في الثقافة الإسلامية.

الفرع الثاني: تطبيقات التسامح في الثقافات الأخرى.

المبحث الثاني: أهمية تعزيز الوحدة الوطنية، وبيان مفهوم التعددية الكونية، وموقف الإسلام منها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أهمية تعزيز الوحدة الوطنية، وفيه فرعان:

الفرع الأول: أهمية التسامح في تعزيز النسيج الوطني.

الفرع الثاني: أهمية تعزيز الوحدة الوطنية.

المطلب الثاني: التعددية الكونية، وموقف الإسلام منها، وفيه فرعان:

الفرع الأول: مفهوم التعددية الكونية.

الفرع الثاني: موقف الإسلام من التعددية الكونية.

المبحث الثالث: مهددات الوحدة الوطنية وسبل مواجهتها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مهددات الوحدة الوطنية، وفيه ثلاثة أفرع:

الفرع الأول: الجماعات المغالية.

الفرع الثاني: التيارات الفكرية الجافية كالعلمانية.

الفرع الثالث: المنظمات الدولية المعادية.

المطلب الثاني: سبل مواجهة مهددات الوحدة الوطنية.

المبحث الرابع: مقومات التسامح وسبل تعزيزها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مقومات التسامح، وفيه أربعة أفرع:

الفرع الأول: المقومات الدينية.

الفرع الثاني: المقومات الفكرية.

الفرع الثالث: المقومات السياسية.

الفرع الرابع: المقومات الاجتماعية.

المطلب الثاني: سبل تعزيز مقومات التسامح.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

الفهارس: وتشتمل على فهرس المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

منهج البحث:

اتبعت في دراستي المنهج الوصفي القائم على استقراء النصوص وتحليلها والاستنباط للتأصيل لتلك المسائل وفق نصوص الكتاب والسنة، وعلى فهم علماء الأمة وسلفها لهذه النصوص.

أما منهج البحث الإجرائي فسيكون على النحو الآتي:

١- إثبات الآيات القرآنية برسم المصحف العثماني، وعزو الآيات الكريمة إلى سورها وذكر أرقامها وذلك بجانب الآية.

٢- تخريج الأحاديث من مظانها المعتمدة، ونقل حكم العلماء المتخصصين إن أمكن، باذلاً الجهد في التحقق من ذلك إلا ما كان في الصحيحين أو أحدهما فأكتفي بتخريجه بذكر المرجع ورقم الحديث.

٣- الرجوع إلى المصادر الأصيلة فيما يخص موضوع البحث، ونسبة الأقوال إلى أصحابها، وترتيبها حسب التسلسل التاريخي قدر الوسع.

٤- تذييل البحث بفهرس المراجع والمصادر، وفهرس الموضوعات.

فأسأل الله سبحانه وتعالى أن يلهمني وإياكم السداد والتوفيق والرشاد.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

التمهيد

وفيه بيان المفاهيم الخاصة بالبحث

أولاً: تعريف المقومات لغة واصطلاحًا:

أ- تعريف المقومات لغة:

المقوِّمات لغة: جمع مُقوِّم، من الفعل قوَّمَ، والمقومات: أساس الشيء وعناصره، يقال: قائمُ السيف: مقبضه، والقِوام، بِكَسْر الْقَاف من قَوْلهم: هَذَا قِوام الدّين وقِوام الحقّ، أَي الَّذِي يقوم بِهِ[١].

ب- تعريف المقومات اصطلاحًا:

لم أقف على تعريف اصطلاحي للفظة (المقومات)، إلا ما كان من اجتهاد الدكتور أحمد مختار عمر، حيث عرفها بقوله: "كلّ ما يتألّف أو يتركّب منه جسم أو جهاز أو مشروع من عناصر أساسيّة تسهم في قيامه ووجوده وفاعليّته"[٢].

ثانيًا: تعريف التسامح لغة واصطلاحًا:

أ- التسامح لغة:

التسامُح: مصدر تسامحَ، والسين والميم والحاء أصل يدل على سلاسة وسهولة. ويُقال: تسامح في الأمر: تساهل فيه، والسَماحَةُ: الجود[٣].

ب- التسامح اصطلاحًا:

التسامح في الاصطلاح يطلق على معنيين:

الأول: "بذل ما لا يجب تفضلًا"[٤].

الثاني: "سهولة الجانب في الإعطاء وطيب النفس به"[٥].

وقال يحيى بن حيّان في معنى التسامح مع النعمة: "الشريف إذا تقوّى تواضع والوضيع إذا تقوّى تكبر "[٦].

ويمكن تعريف التسامح بأنه الرفق والمعروف في المعاملات بشكل عام، وفي المالية بشكل خاص[٧].

---

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي، "العين". تحقيق: د مهدي المخزومي، (بيروت: دار ومكتبة الهلال)، ٥: ٢٣٣؛ أحمد مختار عمر، "معجم اللغة العربية المعاصرة". (ط١، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٨م)، ٣: ١٨٧٩.

(٢) عمر، "معجم اللغة العربية المعاصرة"، ٣: ١٨٧٩.

(٣) إسماعيل بن حماد الصحاح الجوهري، "تاج اللغة وصحاح العربية". تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. (ط٤، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م)، ١: ٣٧٦؛ عمر، "معجم اللغة العربية المعاصرة"، ٢: ١١٠٤-١١٠٥.

(٤) علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، "التعريفات". تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م)، ١٢١.

(٥) الخَطِيب التِبْرِيزي، "شرح ديوان الحماسة". (بيروت: دار القلم)، ٢: ٣٧٢.

(٦) ابن عبد ربه الأندلسي، "العقد الفريد". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ)، ٢: ٢٠٠.

(٧) ينظر: القاضي عبد الوهاب، "المعونة على مذهب عالم المدينة"، تحقيق: حميش عبد الحقّ. (مكة المكرمة: المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز)، ١٠٢٥.

وعُرِّف التسامح بأنه: الجود والعطاء عن كرم وسخاء[١].

فالتسامح هو جميل العطاء والفضل في التعامل مع الناس بيسر وإحسان.

ثالثًا: تعريف الأثر لغة واصطلاحًا:

أ- الأثر لغة:

الأثر: العلامة [٢]، والأثر: بقيّة ما ترى من كُلّ شيء، وأُثْرُ السَّيف: ضَرْبَتُهُ [٣].

ب- الأثر اصطلاحاً:

المعنى الاصطلاحي للأثر لا يخرج عن المعنى اللغوي، بل إن المعنى اللغوي أكثر شمولاً، وقد عُرَّف الأثرُ بأنه: "ما بقي من رسم الشيء"[٤].

رابعًا: تعريف الوحدة لغة واصطلاحًا:

أ- الوحدة لغة.

الوِحْدَة: من الفعل الثلاثي (وحد)، يقول ابن فارس: "الواو والحاء والدال: أصل واحد يدل على الانفراد. من ذلك الوحدة. وهو واحد قبيلته، إذا لم يكن فيهم مثله"[٥].

و"الواحد هو الذي لا يتجزأ ولا يثنى ولا يقبل الانقسام ولا نظير له ولا مثل ولا يجمع هذين الوصفين إلا الله عز وجل"[٦].

مما سبق يتضح أن لفظ (وحد)، تندرج تحته ثلاثة معانٍ لغوية:

أولها: الانفراد، وثانيها: الجمع، وثالثها: عدم التجزئة والانقسام.

ب- الوحدة اصطلاحًا.

عرفها الكفوي بأنها: "كَون الشَّيْء بِحَيْثُ لَا يَنْقَسِم، وَتطلق وَيُرَاد بهَا عدم التجزئة والانقسام"[٧].

خامسًا: تعريف الوطنية لغة واصطلاحًا:

أ- الوطنية لغة.

الوطنية: اسم مؤنَّث منسوب إلى وَطَن، والوَطَنُ: مَوْطِنُ الإنسان ومَحَلُّهُ. وأوطانُ الأغنام: مَرابضُها التي تأوي إليها، ويُقال: أَوْطَنَ فلانٌ أرضَ كذا، أي: اتّخذها مَحَلاً ومَسْكَناً يُقِيمُ بها[٨].

---

(١) ينظر: ابن الأثير، "النهاية في غريب الحديث والأثر"، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي. (بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ)، ٢: ٣٩٨.
(٢) إبراهيم مصطفى وآخرون. "المعجم الوسيط"، (القاهرة: دار الدعوة)، ١: ٥.
(٣) الخليل بن أحمد، "العين"، ٨: ٢٣٦، ٢٣٧.
(٤) إسماعيل بن حماد الصحاح الجوهري، "تاج اللغة وصحاح العربية"، ٢: ٥٧٥.
(٥) أحمد بن فارس، "المقاييس في اللغة". تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (القاهرة: دار الفكر، ١٩٧٩م)، ٦: ٩٠.
(٦) محمد بن مكرم ابن منظور، "لسان العرب"، (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٩٩٣م)، ٣: ٤٥١.
(٧) أيوب بن موسى الكفوي، "الكليات". تحقيق: عدنان درويش (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ص: ٩٣١.
(٨) الخليل بن أحمد، "العين"، ٧: ٤٥٤، عمر، "معجم اللغة العربية المعاصرة"، ٣: ٢٤٦٣.

ب- الوطنية اصطلاحًا.

عُرفت الوطنية بأنها: "حُبّ الوطن والإخلاص والتَّضحية من أجله"[١].

وقيل: "سياسة اجتماعيّة تقوم على حماية مصالح أهل البلد"[٢].

والوطنية هي: حب الوطن، والتعصب له، ولأرض ذلك الوطن، والمنتمين لذلك الوطن[٣].

سادسًا: تعريف مقومات التسامح وأثرها على الوحدة الوطنية كمصطلح مركب.

يمكن تعريف عنوان البحث كمصطلح مركب على أنه: "العناصر الأساسية التي تسمح بتعايش المختلفين من أفراد وجماعات ممن يعيشون على أرض مشتركة بسلام ووئام وتوافر بينهم حد أدنى من التكافؤ والمساواة وقبول الآخر على أن يتوافق ويتشارك الجميع على تقديم وحماية مصلحة الوطن".

---

(١) عمر، "معجم اللغة العربية المعاصرة"، ٣: ٢٤٦٣.

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) ينظر: د. غالب عواجي، "المذاهب الفكرية المعاصرة ..."، (ط١، جدة: المكتبة العصرية الذهبية، ١٤٢٧هـ)، ٢: ٩٧٣.

المبحث الأول

بيان مشروعية التسامح، ومصادره
وتطبيقات في الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى

المطلب الأول: مشروعية التسامح ومصادره:

المجتمعات اليوم بكافة أطيافها وألوانها بحاجة ماسة إلى التسامح لتحقيق التوازن بين أفراد المجتمع الواحد، والحفاظ على النسيج الوطني من التمزق، في وقت يحتاج فيه الوطن إلى الترابط والتكاتف من أجل تحقيق النمو والتقدم، فضلاً عن مواجهة كافة الدعوات الهدامة التي تدعو إلى تفريق شمل الوطن وزعزعة أمنه واستقراره.

وسأتناول في هذا المطلب مشروعية التسامح ومصادره في فرعين:

الفرع الأول: مشروعية التسامح.

دلت النصوص من القرآن الكريم، والسنة الصحيحة المطهرة على مشروعية التسامح، ومن ذلك:

قول الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة:٨].

وفيها مشروعية التسامح، حيث أمر الله عز وجل بالقسط مع غير المسلمين المسالمين(١).

وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن هذه الآية منسوخة، وقد رجح الطبري شمولية الآية لجميع أصناف الملل والأديان، فقال: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عُنِي بذلك: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، من جميع أصناف الملل والأديان أن تبرُّوهم وتصلوهم، وتقسطوا إليهم، إن الله عزّ وجلّ عمّ بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ من كان ذلك صفته، فلم يخصصْ به بعضًا دون بعض، ولا معنى لقول من قال: ذلك منسوخ"(٢).

ومما يدل على مشروعية التسامح في الإسلام قوله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨] أي: لا يحملنكم بُغض قوم على ترك العدل فيهم، بل استعملوا العدل في كل أحد، صديقاً كان أو عدوا (٣).

فالتسامح في الإسلام ليس منة يبذلها المسلم لغيره، وإنما هو حق ديني يؤديه إلى صاحبه، وأمانة إلهية يقوم بواجبها، ومنهج إسلامي يلتزم به مع الآخر بغض النظر عن انتماءاته(٤).

---

(١) ينظر: محمد بن جرير الطبري، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن". تحقيق: مجموعة من المحققين. (ط١، المملكة العربية السعودية: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ٢٠٠١م)، ٢٣: ٣٢٣.

(٢) ينظر: الطبري، "جامع البيان"، ٢٣: ٣٢٣.

(٣) ينظر: إسماعيل بن عمر ابن كثير، "تفسير القُرآن العظيم". تحقيق: سامي سلامة، (ط٢، القاهرة: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م)، ٣: ٦٢.

(٤) ينظر: محمود حمدي زقزوق، "الإسلام وقضايا الحوار". (القاهرة: مطابع الأهرام التجارية، ٢٠٠٠م)، ص: ٢٠٩.

ومما ورد في مشروعية التسامح من السنة المطهرة، حث النبي صلى الله عليه وسلم على التسامح في البيع والشراء والقضاء، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «رحم الله رجلًا، سمحًا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى»[(١)].

وألمح هنا إلى صورة بديعة في هذا الباب، وهي أن الإسلام عندما قرر مبدأ التسامح مع الآخر إنما قرره باعتباره تكليفا إلهيا وليس باعتباره توافق بين أبناء المجتمع، وأنه لم يلزم المسلمين به على سبيل التكافؤ، وإنما جعله في كثير من صوره واجباً شرعياً، يجب على المسلمين أن يلتزموا به من تلقاء أنفسهم، وبإيمان نابع من وجدانهم، بغض النظر عن التزام الطرف الآخر بذلك، فالمسلم يجب عليه أن يكون متسامحاً مع الخلق جميعاً ولو لم يعاملوه بالمثل.

الفرع الثاني: مصادر التسامح.

إن ثقافة التسامح أصيلة ومتجذرة في مصادر التراث الإسلامي، سواء من القرآن الكريم، أو السنة المطهرة، أو من أفعال النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، ثم من اقتفى أثرهم من سلفنا الصالح رضي الله عنهم أجمعين.

فأما من القرآن الكريم، فمنها:

١- قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: ٦٣]. وهذه الآية أصل في التسامح والحلم.

يقول الحسن: "حلماء، وإن جُهل عليهم لم يجهلوا"[(٢)]، ويقول الطبري: "وإذا خاطبهم الجاهلون بالله بما يكرهونه من القول، أجابوهم بالمعروف من القول، والسداد من الخطاب"[(٣)].

٢- قوله تعالى: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥].

وهذه الآية مصدر عظيم يدل على التسامح، والصفح بلا عتاب[(٤)]، فالصفح الجميل هو "الإعراض الخالي من جزع وفحش"[(٥)]. والآية دعوة للنبي صلى الله عليه وسلم إلى احتمال ما يلقى من المشركين من أذى، ودعوة إلى الإعراض الجميل بحلم وإغضاء[(٦)].

أما مصادر التسامح من السنة، فقد ورد قولاً وفعلاً:

فأما القول: فقد روى البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله

(١) أخرجه محمد بن إسماعيل البخاري، "صحيح البخاري". تحقيق: محمد بن ناصر، (ط١، بيروت: دار طوق النجاة، ٢٠١٢م)، في كتاب البيوع – باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع... برقم: ٢٠٧٦.
(٢) الطبري، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، ١٩: ٢٩٥.
(٣) المرجع السابق نفسه
(٤) ينظر: منصور بن الحسين، "نثر الدر". تحقيق: خالد عبد الغني، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م)، ١: ١٩٧.
(٥) عبد الرحمن بن الجوزي، "زاد المسير في علم التفسير". (ط٣، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٤م)، ٤: ٤١٢.
(٦) ينظر: محمد بن عمر الرازي، "التفسير الكبير"، (ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٩م)، ١٩: ١٥٨.

عليه وسلم، قال: «رحم الله رجلا سمحا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى»[١].

وفيه "الحضُ على السماحة وحسن المعاملة، واستعمال معالي الأخلاق ومكارمها" [٢].

وأما فعله صلى الله عليه وسلم فقد جاء عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط بيده، ولا امرأة، ولا خادما، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط، فينتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك شيء من محارم الله، فينتقم لله عز وجل»[٣].

وفي سائر بقاع المعمورة عاش المسلمون وخالطهم أهل الكتاب، وكان للمسلمين الغلبة على الحكم في بعض البقاع ردحًا من الزمن فلم يرغموا الناس على ترك دينهم أو تغيير عوائدهم، وإنما كانوا عونا وظهيراً لهم على الأمن والسلم والعدل متى أمن المسلمون جانبهم.

وفيما بين المسلمين وأنفسهم كان للتسامح شأن وسلطة على كل ما هو داخل في مجال الاختلاف، أي فيما وراء الثوابت التي رسختها الشريعة وثبتتها العقيدة والتي تمثل خصوصيتهم بين الأمم، ويكفي أن أشير إلى تلك القاعدة العامة التي تحكم العلاقة بين أصحاب التوجهات المختلفة من المسلمين، وهي قاعدة (لا ينكر المختلف فيه وإنما ينكر المجمع عليه)[٤]، وهي قاعدة عظيمة تعني أن المختلف فيه الذي يقع بين المذاهب لاختلاف الأدلة، لا يجب إنكاره لأنه يقوم على دليل، وإنما يجب إنكار الفعل الذي يخالف المجمع عليه، لأنه لا دليل عليه.

"والخلاصة أن ديننا الإسلامي دين تسامح ومحبة يدعو إلى المحبة والألفة بين أتباعه، ويأمر بالعدل والتسامح بين جميع البشر، وما هذه النماذج إلا إضاءة بسيطة تنبئ بأن ثقافة التسامح أصيلة في ذلك الدين العظيم، ومتجذرة في مصادر التراث الإسلامي، وألا تفريق في ذلك بين المسلمين وغيرهم"[٥].

المطلب الثاني: تطبيقات التسامح في الثقافة الإسلامية، والثقافات الأخرى.

وفيه فرعان:

الفرع الأول: تطبيقات التسامح في الثقافة الإسلامية.

إن التسامح يعني اتساع الكون للخلق بتنوعهم العرقي، والفكري، والثقافي، والعقدي الذي خلقهم الله عليه، ليتعايش الجميع فيما بينهم ولتتكامل أدوارهم دون طرد أو إقصاء، مع حفظ التمايز والتنوع.

---

(١) أخرجه البخاري، "صحيح البخاري"، في كتاب البيوع –باب السهولة والسماحة... برقم: ٢٠٧٦.

(٢) علي بن خلف ابن بطال، "شرح صحيح البخاري". تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، (ط٢، السعودية: مكتبة الرشد، ٢٠٠٣م)، ٦: ٢١٠.

(٣) أخرجه مسلم، "صحيح مسلم"، في كتاب الفضائل – باب مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام... برقم: ٢٣٢٨.

(٤) جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين السيوطي، "الأشباه والنظائر". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م)، ١: ١٥٨.

(٥) د. سيدي أحمد سيد خليل، المفتي في المركز الرسمي للإفتاء بأبو ظبي، مصادر التسامح في التراث الإسلامي، نشر المقال بمجلة الخليج، بتاريخ ٢/٦/ ٢٠١٧م.

والتسامح بهذا القدر مبدأ إسلامي راسخ، تبدو ملامحه في كل تعاليم الدين وأحكامه، كما سيأتي التمثيل على ذلك، وهو مبدأ ينطلق من رؤية شاملة للكون الذي تحكمه سُنة التعدد المتوائم والاختلاف المتجانس، ومن رؤية كلية لعلاقة الإنسان بالإنسان؛ يحكمها قوله تَعَالَى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ٨﴾ [الممتحنة: ٨].

والتسامح في الإسلام ليس بالكلام النظري المستهلك في قاعات التنظير، وإنما هو أسلوب حياة ومنهج مجتمع، ومن ثم عاشه المسلمون في دولتهم وطبقوه في حياتهم، سواء في علاقاتهم فيما بينهم، أو في علاقاتهم بغيرهم، ففي المدينة تكونت الدولة المسلمة المتسامحة التي حكمتها الوثيقة الفريدة في بابها التي جمعت بين أعراق مختلفة، وأنساب متشعبة، وثقافات متباينة، وديانات متعددة، فقد جاء فيها:

"هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم. إنهم أمة واحدة من دون الناس، وإن من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا تناصر عليهم... وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه وأن النصر للمظلوم"[١].

الفرع الثاني: تطبيقات التسامح في الثقافات الأخرى.

المفهوم المعاصر للتسامح والمتعارف عليه دولياً يدور حول معاني: قبول اختلاف الآخرين، سواء في الدين أو العرق أو السياسة، أو عدم منع الآخرين من أن يكونوا آخرين، أو عدم إكراههم على التخلي عن قناعاتهم. وبعبارة مختصرة: احترام الموقف المخالف[٢].

وقد عرف معجم اللغة العربية المعاصر أحد أنواع التسامح وهو التَّسامُح الدِّينيّ بأنه: "احترام عقائد الآخرين"[٣].

وقد قررت المادة الأولى من إعلان المؤتمر العام لليونسكو بشأن التسامح؛ أن التسامح يعني: الاحترام والقبول والتقدير للتنوع الثري لثقافات عالمنا ولأشكال التعبير وللصفات الإنسانية لدينا، مما يعني في كلمة واحدة أنه (الوئام في سياق الاختلاف).

وقد أوضحت المادة ذاتها أن التسامح واجب أخلاقي، وسياسي، وقانوني، وأنه لا يعني المساواة أو التنازل أو التساهل، وإنما يعني إقرار الأفراد والجماعات والدول بحق الآخرين في التمتع بحقوق الإنسان وحرياته الأساسية المعترف بها عالمياً، ونبذ التعصب والاستبدادية، كما أوضحَت أن

---

(١) إسماعيل بن عمر بن كثير، "البداية والنهاية". تحقيق: على شيري، (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨م)، ٣: ٢٧٣.

(٢) ينظر: د. صالح شقيرن وساطع نسيب رضوان، "تفعيل مفهوم التسامح فلسفيا". ص: ١٤١.

(٣) عمر، "معجم اللغة العربية المعاصرة"، ٢: ١١٠٥.

التسامح لا يعني تقبل الظلم الاجتماعي، أو تخلي المرء عن معتقداته أو التهاون بشأنها، بل يعني أن المرء حر في التمسك بمعتقداته وأنه يقبل أن يتمسك الآخرون بمعتقداتهم[1].

تعرفت أوروبا على فكر التسامح في بداية ما يسمى عصر التنوير، وقد نشأ فكر التسامح في أوروبا في ذلك الوقت كحل حتمي للصراع الدامي العنيف بين المذاهب الدينية النصرانية؛ الكاثوليك والبروتستانت، فقد خلَّفت الحروب الدينية في أوروبا آلاف الضحايا، وعلى إثر ذلك اتجه فكر العقلاء في أوروبا إلى ضرورة إيجاد حل جذري لتلك الموجة المتعصبة من العنف بما يعمل على إنهاء الصراع الدائر بين المذاهب النصرانية، فكان نتيجة ذلك الدعوة إلى التسامح، وتطبيق التسامح كحل عملي يؤدي إلى لم شمل الطوائف المتناحرة، وتقبل بعضهم بعضًا، والعيش فيما بينهم بسلام ووئام، وقد استقى هؤلاء تلك الفكرة من نظرتهم إلى طبيعة الاختلاف بين المذاهب الإسلامية، فقد رأوا مدى التسامح والوئام الذي يعيشه أصحاب المذاهب المختلفة في ظل الحكم الإسلامي الرشيد، فلم يمنع اختلاف الأفكار من تقبل الآخر، بل ومساعدته إذا حلت به نكبة أو ضائقة، ولم يقتصر الأمر على المذاهب الإسلامية وحسب، بل تجاوزه إلى ما هو أعلى من ذلك، فقد شهدت الحضارة الإسلامية التسامح حتى بين أصحاب الديانات المختلفة، فقد وجدوا إمكانية العيش فيما بينهم بسلام، بلا صراع أو نزاع[2].

المبحث الثاني

أهمية تعزيز الوحدة الوطنية

وبيان مفهوم التعددية الكونية، وموقف الإسلام منها

المطلب الأول: أهمية تعزيز الوحدة الوطنية.

وفيه فرعان:

الفرع الأول: أهمية التسامح في تعزيز النسيج الوطني.

إن للتسامح دورًا كبيرًا وفعالاً في تعزيز النسيج الوطني، يمكن بيانه في نقاط على النحو التالي:

١- يصون التسامح الوحدة الوطنية ويحفظها من عوامل النحت والتجريف الخارجية التي تحاول النيل منها، فعندما تشرق شموس التسامح تزول ظلمات التعصب والعنف، وتنزوي عقلية التخوين والتجريم، سواء على الصعيد الفكري أو السياسي أو الاجتماعي أو الثقافي أو فيما يتعلق بجوانب الحياة المختلفة، فيصلب عود المجتمع ضد أعدائه والمتآمرين عليه، لأن المجتمع الذي تسود فيه روح التسامح لا يستطيع

---

(١) ينظر: المادة الأولى من "إعلان مبادئ بشأن التسامح" والمعتمد من المؤتمر العام لليونسكو في دورته الثامنة والعشرين، باريس، ١٦ نوفمبر (١٩٩٥م).

(٢) ينظر: أحمد بن سليمان أيوب، ونخبة من الباحثين، "موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام". (ط١، دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع – دار وقية دعوية، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م)، ٣: ٤٦٢.

أحد أن يخترقه عن طريق إشاعة الفتن بين أفراده لأنه يكون محصناً ضدها بالوعي الفكري والمواطنة الصادقة، بخلاف المجتمع غير المتسامح فإنه يكون أرضاً خصبة لبث الخرافات والإشاعات التي تعد في العصر الحديث أحد أهم الأسلحة الفتاكة التي توظفها الدول للنيل من أعدائها من داخلها[1].

والمجتمع الآن في حاجة ماسة للتلاحم والتماسك ضد كل ما يؤثر فيه من دعوات الانقسام والاحتراب، فالتسامح يحَمِّلُ الأفراد المسؤولية لتحقيق الوحدة الوطنية، واتحاد أبناء الوطن الواحد، ولم شمل المجتمع، ودعم القيادات؛ للحفاظ على أمن الوطن والمواطن.

٢- يزيد التسامح من قوة الترابط الداخلي بين أبناء المجتمع، ويوجههم إلى البناء والنهوض بوطنهم، ففي ظل التسامح ينمو لدى أفراد الوطن الشعور بالحرية والأمان والعدل والاستقرار، فتتجه طاقتهم التي كانت مشغولة بالخوف والترقب إلى بناء الحضارة والارتقاء بمستوى المعيشة، مما يعود على أفراد المجتمع جميعاً بالرفاء، وعلى الوطن بالنماء، فلتلف القلوب حول الوطن، وتتواثق عرى الإخاء[2].

٣- يساعد التسامح على تصحيح مسارات الجماعات الضالة واحتواء الشباب المستقطب بعيدًا عن الوحدة الوطنية، فكما أن غياب التسامح يعطي الفرصة للغلو والتطرف بالظهور[3]، ففي ظل التسامح يستطيع كل فرد أن يعبر عن أفكاره بحرية تامة في ظل الضوابط الشرعية للإسلام الحنيف بعيدًا عن الغلو والتطرف، فالحوار حقٌّ للجميع[4]، وكذلك بعيدًا عن الانحلال والتهتك، دون أن يشعر بالنبذ أو التضييق، فتنعقد موائد الحوار، وتتلاقح الأفكار، فيطِّلع كل شخص على مواطن الضعف في أفكاره، فيراجع نفسه لتصحيحها، ويستفيد كل فرد مما عند الآخر، ولو لم يكن من فوائد التسامح في المجتمع إلا خروج الأفكار الهدامة من سراديبها، وجلوس أصحابها على موائد الحوار لكفى، حيث إن الحوار هو أول طريق التغيير[5]، ولا شك أن المجتمع الذي يستطيع أن يستوعب النافع من أفكار أبنائه، ويصحح المغلوط منها؛ هو المجتمع الذي يرجى له الاستقرار والتقدم.

٤- يسهم التسامح في صيانة الصحة النفسية والاجتماعية لأبناء الوطن، ويعمل على تقليل مساحة الخلاف بين أبنائه، ويكفينا في ذلك أن نعلم أن من أهم خصائص الإنسان المتسامح أنه يقتدر على كبح جماح نفسه عن إرادة الإيذاء للآخرين، ويستطيع توجيه ناظريه إلى محاسنهم بدلاً من التركيز

---

[1] ينظر: د. علي عباس مراد، ود. فاتن محمد رزاق، "التسامح في بعض الحضارات القديمة". ص: ١٩.

[2] ينظر: د. مهدي بدارنة- د. وائل سليم- د. علي الشمراني، "مفهوم التسامح ودور المؤسسات التربوية في ترسيخه لدى الأفراد". (مجلة دراسات في التعليم العالي، العدد الخامس، يوليو ٢٠١٣م)، ١٧٠.

ينظر: د. إبراهيم صقر إسماعيل الزعيم، "التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس ما بين ١٨٩٧-١٩٩٤". (ط١، لندن: إي- كتب، ٢٠١٩)، ٣٤.

[3] ينظر: جمال الدين القاسمي، "ميزان الجرح والتعديل". (مجلة المنار) د.ب. ١٥: ٩١٢.

[4] ينظر: د. شوقي أبو خليل، "التسامح في الإسلام.. المبدأ والتطبيق". (ط١، بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١٤هـ)، ٥١.

[5] ينظر: يوسف العاصي، "الحملة الصليبية عَلَى العالم الإسلامي". (ط٢، مصر: صوت القلم العربي، ١٤٣١هـ)، ٤: ٧١.

على سوءاتهم ومعايبهم، وأنه يمتلأ محبة ورحمة لجميع المحيطين به، فلو عم التسامح أفراد المجتمع لكانت الصفة العامة هي السواء النفسي والاجتماعي[١].

٥- يسهم التسامح في تحقيق استقرار الوطن والمواطن، لأن التعصب والشدة والقوة والعنف إذا استهلكت في الخلافات الداخلية، فإنها تؤثر سلبًا على استقرار الوطن، وإذا اهتز الوطن -نسأل الله السلامة- تأثر المواطن، لأن ذلك ينعكس سلبًا على حياة المواطن واستقراره بالتبعية.

٦- يحقق التسامح المقصد الجليل من قول الله تعالى: ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾، يقول الطبري: "رقيقة قلوب بعضهم لبعض، لينة أنفسهم لهم، هينة عليهم لهم"[٢].

واللين والرحمة مقصد شرعي نبه الله عز وجل عليه نبيه صلى الله عليه وسلم في القرآن بقوله: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، يقول السعدي: "برحمة الله لك ولأصحابك، منَّ الله عليك أن ألنت لهم جانبك، وخفضت لهم جناحك، وترققت عليهم، وحسنت لهم خلقك، فاجتمعوا عليك وأحبوك، وامتثلوا أمرك"[٣].

ولا شك أن الرحمة واللين بين أفراد المجتمع، وتسامح المواطن مع أخيه المواطن، يحقق مقصد الرحمة الذي أشار إليه القرآن، ودعا إليه وحثَّ أفراد المجتمع على امتثاله.

٧- يسهم التسامح في توجيه طاقات المواطنين الذين اجتمعوا تحت شعار التسامح نحو تقدم الأوطان ورفعتها، وعلو شأنها ومكانتها، فلا شك أن التعصب يعمل على خلخلة المجتمع، واحترابه داخليًا مما يضيع عليه الوقت والجهد المرجوان لتحقيق نقلة حضارية ينشدها الوطن في الوقت الراهن الذي توحدت فيه جهود أبناء الأمم الأخرى لصناعة تقدمها وازدهارها؛ فإن التعصب هو العدول الأول للأوطان[٤].

٨- يساهم التسامح في تحقيق غاية كبرى تزيد من اللحمة الوطنية، وهي قضية التكامل في الاجتهادات، فالمجتمع الآن في أمس الحاجة إلى جهود كل مجتهد يسعى إلى رفعة الوطن، وهذا يقتضي من أبناء المجتمع التراحم والتفاهم فيما بينهم، وألا يحتكر أحد منهم الحق لنفسه، وألا يدعي

---

(١) ينظر: د. محمود أبو العزائم، "التسامح والصحة النفسية". مقال منشور على الموقع الرسمي للكاتب، على هذا الرابط:
http://www.elazayem.com/١١٢,٣,pdf

(٢) الطبري، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، ٢٢: ٢٦١.

(٣) عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي، "تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان". تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، (ط١، السعودية: مؤسسة الرسالة،٢٠٠٠م)، ص: ١٥٤.

(٤) ينظر: محمد محفوظ، "الشيعة اليوم.. إشكاليات الهوية والاندماج". (ط١، بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ٢٠١٤)، ١٤٨.

ينظر: عبد الرحيم خطوف، "الخلاف في الفقه والعقيدة - دراسة في أسبابه، وآثاره، وطرق تحريره". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٨)، ١٤٤.

أن اجتهاده الوحيد المصيب، فيفتح الباب للتعرف على اجتهادات الآخرين ومحاولة فهمها ومناقشتها[(١)]، وبذلك يبتعد المجتمع عن الصدام والتناحر.

الفرع الثاني: أهمية تعزيز الوحدة الوطنية.

لكي نقف على أهمية الوحدة الوطنية في المجتمعات، فمن الضرورة الوقوف على أسباب تعزيز الوحدة الوطنية ودوافعها، وقنوات تعزيزها، ومدى تحقيقها، وذلك على النحو الآتي:

من أجل الوصول إلى مبدأ المواطنة، وتجسيد مقتضياتها ومتطلباتها في الحياة الاجتماعية والسياسية، "لا خيار أمام الجميع إلا الانخراط في مشروع الإصلاح السياسي والثقافي والاجتماعي، ... وحجر الأساس في هذا المشروع الإصلاحي، هو إعادة الاعتبار للفرد والتعامل معه على أساس المواطنة بصرف النظر عن انتماءاته التاريخية والراهنة، وأن تتعامل معه مؤسسة الدولة على أساس انتمائه الوطني"[(٢)].

"وهذا يفضي بالتالي إلى تعزيز الوحدة الوطنية على أساس الانتماء، والمواطنة، وإعادة الاعتبار السياسي والحقوقي للمواطن، وذلك حتى تتوافر كل الظروف والمعطيات المفضية إلى مشاركة جميع المواطنين في عملية البناء والتطوير، وتحقيق التنمية السياسية"[(٣)].

"وفي حال نضوج الوحدة الوطنية، يتعاظم الدافع للإخلاص الوظيفي، وتتعزز الثقة بالمجتمع والنفس، وتتكاثر مؤسسات المجتمع المدني، وينحسر الفساد، ويزداد التفاخر بالخدمة العامة لتصبح عنواناً للانتماء والعطاء، وبالتالي تتهمش نوازع الهجرة إلى الخارج وأسبابها ونتائجها. وكل هذه المشاعر تدفع بالوطنية الناجمة عن الوحدة الوطنية بعمق احترام القانون والانضباط الأمني، ويتراجع الهروب من استحقاق المواطن. وبشكل عام، ترتفع القواسم المشتركة بين أفراد المجتمع، فتصبح الوحدة الوطنية في إطار الهوية الوطنية مرجعية للحياة المشتركة في العمل"[(٤)].

ومما يدفع إلى تعزيز الوحدة الوطنية وترسخيها، هو سن مجموعة من التشريعات التي تتسم بحداثتها، وتنسجم أحكامها. "فالوحدة الوطنية هي محصلة كل الجهود والمبادرات التي تطلقها جميع التنوعات والتعدديات في إطار ترسيخ خيار العيش المشترك (الواحد) والوحدة الداخلية للمجتمع"[(٥)].

---

(١) ينظر: على النفيلي، "الإنسان بين العنف والتسامح". (ط١، مصر: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٣٤هـ)، ١٣٥.
ينظر: عبد الرحيم خطوف، "الخلاف في الفقه والعقيدة - دراسة في أسبابه، وآثاره، وطرق تحريره". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٨)، ١٤٤.

(٢) عبد العزيز أسعد وعبد العزيز درويش، "آليات تعزيز الوحدة الوطنية"، إشراف: د. نايف أبو خلف. قدمت هذه الأطروحة استكمالًا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التخطيط والتنمية السياسية بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، ٢٠١٠م، نقلًا عن: الإصلاح السياسي والوحدة الوطنية، محفوظ مُحَمَّد، ص: ٤٤.

(٣) المصدر السابق، ص: ٤٤.

(٤) المصدر السابق، نقلًا عن: الأردن.. إِلَىٰ أين؟ الهوية الوطنية والاستحقاقات المستقبلية، الشاعر وهيب "ص: ٤٤".

(٥) عبد العزيز أسعد وعبد العزيز درويش، "آليات تعزيز الوحدة الوطنية"، ص: ٤٦.

ويرتبط تعزيز الوحدة الوطنية في أي مجتمع أو قطر ارتباطًا وثيقًا بتحرير الإنسان، وحرية واستقلال أرضه، وفي بناء مجتمع يتسم بوحدة غير قابلة للتجزئة لأبنائه، وبالتنمية المستدامة، وازدهار ونمو الدولة في مختلف المجالات، كذلك فإن بناء الإنسان هو أفضل استثمار يساعد على تعزيز الوحدة الوطنية وقوة المجتمع.

ومما يساعد على تعزيز الوحدة الوطنية كذلك؛ التربية وانتشار الوعي في المجتمع.

ولا شك أن "التحولات الاجتماعية والسياسية وانتشار الوعي في المجتمع، عوامل أدت إلى توسع أهداف التربية. إذ لم تعد منحصرة في تعليم شروط ممارسة بعض الحرف والمهن والوظائف، بل تعدّتهما إلى قيَم أوسع وأشمل، ومن أهمّها إيجاد المواطن الصالح، وما يتسم به من قيم المواطنة، ومن سلوكيات تتمثل في القدرة على التواصل مع الغير، والقبول بالآخر والتعايش السلمي معه، والالتزام بواجبات المواطنة"[١].

المطلب الثاني: التعددية الكونية، وموقف الإسلام منها.

وفيه فرعان:

الفرع الأول: مفهوم التعددية الكونية.

التماثل والتفاوت بين الكائنات ظاهرة كونية، ماثلة بأدنى تفاوت، فلا يوجد زوجان يتفقان في جانب إلا اختلفا في بعض الجوانب، ولا يوجد خلق من المخلوقات إلا وفي جوهره اتفاق وفي بعض صفاته افتراق، يقول تعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ﴾ [فاطر: ٢٧، ٢٨]، وفي ذلك كله حكم إلهية يمكن إدراكها بشيء من التأمل[٢].

والإنسان غير بعيد عن هذه السنة الكونية، فالناس مختلفون اختلافاً بيناً في بنيتهم الخَلقية والخُلقية والنفسية والسلوكية والعقلية، يقول تعَالَى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ [الروم: ٢٢]، ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]، فقد أخبر الله تعَالَى في هاتين الآيتين: أن الناس مختلفين في البنية رغم وحدة أصلهم، وأنه لو شاء لجعل الناس كلهم أمة واحدة على الدين الإسلامي، فإن مشيئته غير قاصرة، ولا يمتنع عليه شيء، ولكنه اقتضت حكمته، أن لا يزالوا مختلفين، كل يرى الحق، فيما قاله، والضلال في قول غيره، ليكون منهم السعداء والأشقياء، والمتفقون والمختلفون،

---

[١] أ.د. بوفلجة غيات، "دور التربية في تعزيز قيم المواطنة والوحدة الوطنية"، (كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران)، ص: ٣٥٥.

[٢] ينظر: عبد الفتاح عبد الله بركة، "الطبقات والقيم الاجتماعية في الإسلام، مشكلات وحلول"، (ص١٣).



ليظهر ما كمن في الطباع البشرية من الخير والشر، ولتقوم سوق الجهاد والعبادات التي لا تتم ولا تستقيم إلا بالامتحان والابتلاء(١).

الفرع الثاني: موقف الإسلام من التعددية الكونية.

يرى الإسلام أن هذا الاختلاف – الذي تقدم ذكره – لا يجوز أن يكون عائقا أمام توحيد جهود الناس وتعاونهم فيما بينهم، ولا أن يكون منطلقاً للنزاع والشقاق بين الأُمم والشعوب، بل ينبغي أن يكون دافعاً إلى التعارف والتآلف بين الناس، وأن يكون الطريق بين الناس من أجل تحقيق ما يصبون إليه من تبادل للمنافع وتعاون على تحصيل المعاش وإثراء للحياة والنهوض بها، يقول تَعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات: ١٣]، فالتعارف هو الخطوة الأولى نحو التآلف والتعاون في جميع المجالات(٢)، والاختلاف هو الوسيلة لإثراء العالم بالمزايا المتجددة، والملكات المتعددة، والمواهب والاستعدادات المتنوعة، التي تؤتي ثماراً مختلفة يتنعم بها الإنسان ويرتقي في مضمار الحضارة، والأمة المحرومة هي التي تريد أن يكون أبناؤها نسخة واحدة، فإنها تحرم نفسها بذلك من ثمرات هذه المواهب والقدرات(٣).

ومما سبق يتبين لنا جلياً أن المسلم الذي يعي ما جاء به الإسلام من حقائق عن الكون والحياة، لا يمكن أن ينكر وجود الاختلاف سواء رضي به أو لم يرض، ولا يمكن أن يجعل منه سبباً للفرقة أو التنافر أو الإفساد، فأنَّى له يتوهم ذلك وهو الذي يقرأ في كتاب الله المسطور وكتابه المنظور أن الاختلاف سُنة إلهية كونية، وأنه إرادة ربانية، وأنه سبب لتحقيق المقاصد الإنسانية والشرعية.

إن ما قدمته من عرض لسُنة الاختلاف وموقف الإسلام منها لحري بأن يكسب المسلم معرفة كونية عن طبيعة الوجود، وحكمة الخالق المعبود، وأن يكوّن لديه قاعدة لتقويم علاقته بالآخر في ظل الهداية الربانية، والشريعة الإلهية.

المبحث الثالث

مهددات الوحدة الوطنية وسبل مواجهتها

المطلب الأول: مهددات الوحدة الوطنية، وفيه ثلاثة أفرع:

تحقيق الوحدة الوطنية هو حلم يراود كل عاقل في أي وطن أو مجتمع من المجتمعات؛ لأن الأثر المباشر عن ذلك هو بروز وطن قوي موحد يستوعب كافة الأفكار البناءة المنتجة، وكذا إعادة

---

(١) ينظر: ابن سعدي، "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، ص: ٣٩٢.
(٢) ينظر: زقزوق، "الإسلام وقضايا الحوار"، ص: ٢١١.
(٣) ينظر: عبد الفتاح عبد الله بركة، "الطبقات والقيم الاجتماعية في الإسلام، مشكلات وحلول"، ص: ١٧.

الهوية الوطنية، وتحقيق اللحمة التاريخية بين أبناء المجتمع الواحد، إلا أن هذا الحلم الكبير الذي يمثل غاية نبيلة لكل عاقل يحمل هم الوطن والمواطن يقف في طريق تحقيقه مهددات تمثل عثرات كبيرة تعيق جهود الشرفاء، وقد تناولت هذه المهددات في ثلاثة أفرع:

الفرع الأول: الجماعات المغالية.

الجماعات المغالية هي: تلك الجماعات التي غلت في أفكارها ومناهجها وسلوكها وابتعدت عن المنهج الوسطي للإسلام، ويمكن تقسيم الجماعات المغالية إلى ثلاثة أقسام رئيسة:

١- الجماعات الإرهابية المتطرفة:

الذين حكموا على من سوى جماعتهم بالكفر، لا فرق بين حاكم ومحكوم، دون إقامة الحجة وإزالة الشبهة عن المحكوم عليهم، ودون الفرق بين القول والقائل، لأن القول قد يكون كفرا، والقائل لا يكفر إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة عنه، كما هو منهج أهل السنة والجماعة[١]، وتمثل هذه الجماعات امتدادًا لفكر الخوارج[٢] الذي عانت منه الأمة قديمًا، ولازالت.

وهؤلاء يستحلون دماء الأنفس البريئة المعصومة، ويقاتلون إخوانهم المسلمين، ويرفعون السلاح على كل من سواهم، أو على من خالفهم أو أنكر عليهم.

٢- الجماعات الجهادية.

وقد التصقت بهم هذه التسمية، كنوع من التعريف بهم، إلا أنهم أبعد ما يكونون عن الجهاد الإسلامي الصحيح، ويختلفون عن النوع الأول في أنهم لا يكفرون المجتمعات كلها، بل ينصب تكفيرهم وحربهم على الحكومات[٣].

٣- الحزبيون:

وهؤلاء الحزبيون لا يتعاملون إلا مع من كان في حزبهم فقط، فيرون أنهم أمة دون الناس، وإن كانوا يرون أنفسهم أنهم جماعة من المسلمين، لا جماعة المسلمين، لكنهم متميزون عن المسلمين بسبب حزبيتهم، وهم يهيئون أنفسهم للوثوب على الدولة متى ما تيسر لهم الأمر، فغايتهم هي قلب

---

(١) علي بن محمد الفقيهي، "عرض ونقد دراسة نقدية وتوجيهية لكتاب دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين الخوارج والشيعة". (المدينة المنورة: مجلة الجامعة الإسلامية، العدد ١٠١، ١٠٢، السنة ٢٦، ١٩٩٥م)، ص: ٤٩١.

(٢) هم الذين خرجوا على علي -رضي الله عنه- بعد قَبوله التحكيم، حيث اعتبروا قبول التحكيم كفر، وطلبوا من علي أن يتوب من ذلك، وأشهر بدعهم هو تكفير مرتكب الكبيرة، ويسمون بالحرورية لانحيازهم إلى قرية حروراء قريباً من الكوفة. ينظر: علي بن إسماعيل، "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين". (ط٣، ألمانيا: دار فرانز شتايز، ١٩٨٠م) ص: ٨٦؛ عبد القاهر البغدادي، "الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية". (ط٢، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٧م). ص: ٧٢؛ محمد الشهرستاني، "الملل والنحل". (مؤسسة الحلبي)، ١: ١٤٤.

(٣) ينظر: مقبل بن هادي الوادعي، "الباعث على شرح الحوادث". (ط٢، اليمن: مكتبة صنعاء، ٢٠٠٤م). ص: ٣٦.

نظام الحكم، والوثوب على السلطة[1]. ويختلفون عن النوعين السابقين في أنهم لا يكفرون المسلمين، ولا يحملون السلاح ضد الحكومات أو الأفراد.

يمكن تلخيص منهج الجماعات الغالية عموما في أصل واحد وهو: تقديم الآراء والأهواء ونحو ذلك على النقل والشرع. بيان ذلك: أن الجماعات الغالية بسبب اختلاف مشاربهم ومقاصدهم ولما لم يأتلفوا على كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وبسبب تعصبهم الشديد وغلوهم في آرائهم وآراء مرؤوسيهم صاروا أقوالا شتى متفرقة قد يجمعها بعض الأصول كما يجمع المتكلمين بعض الأصول ولكنهم يتفرقون كثيرا عند التفريعات.

وهكذا سائر الجماعات الضالة من الخوارج ومن شابههم لأن الأصول التي يلتقون عليها تصطدم دائما بالمقاصد والأهواء، فيتفرقون وينقسمون بسبب ذلك انقسامات داخلية وانشطارات متعددة تجعل الفرقة الواحدة لها مسمى واحد كبير لكنه يضم تحت مسماه فرقاً كثيرة متناحرة مختلفة[2].

الفرع الثاني: التيارات الفكرية الجافية.

١- العلمانية.

يمكن تعريف العلمانية بأنها: "رؤية عقلانية مادية شاملة للإنسان والكون وفلسفة عامة للحياة تؤمن بقدرة العقل البشري المطلقة على فهم الطبيعة والسيطرة عليها، وتقوم على فصل كل الظواهر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية عن القيم الدينية والأخلاقية، وإنكار كل ما وراء المادة وتنحية الغيب والميتافيزيقا ونزع القداسة عن المقدس"[3].

وتمثل العلمانية أحد التيارات الجافية وسبب من أهم أسباب معوقات الوحدة الوطنية، بل والهادمة لها، فإن العلمانية أساسًا تقوم على إقصاء الغير ونفيه[4].

وهذه الرؤية المادية للإنسان والكون لا تتقيد بقيم أو ثوابت أخلاقية أو دينية، وإنما ترى مثلًا الشذوذ حرية، والانتحار حرية، مما يجعلها عنصر هدم وتخريب للوطن.

٢- النسوية.

النسوية حسب تعريف أهلها، هي: "حركة سياسية تهدف إلى غايات اجتماعية، تتمثل في حقوق المرأة وإثبات ذاتها ودورها، والفكر النسوي بشكل عام أنساق نظرية من المفاهيم والقضايا

---

(١) مقبل بن هادي الوادعي، "مشاهداتي في المملكة العربية السعودية". (ط١، صنعاء: دار الآثار للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م)، ص: ٢٣؛ عبد العزيز الشاعر، "رسائل وأبحاث عبد العزيز الشاعر"، ٧: ٣٢.

(٢) سعود بن عبد العزيزالخلف، "أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة". (المملكة العربية السعودية، ١٩٩٩م)، ١: ٢٠. بتصرف.

(٣) مصطفى باحو، "العلمانية - المفهوم والمظاهر والأسباب". (ط١، المغرب: جريدة السبيل، ٢٠١١م)، ص: ٥٢.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص: ٣٤٢.

والتحليلات تصف وتفسر أوضاع النساء وخبراتهن، وسبل تحسينها وتفعيلها، وكيفية الاستفادة المثلى منها... – فهي – ممارسات تطبيقية واقعية ذات أهداف عينية"[١].

بدأ هذا التيار في المجتمع الغربي في القرن التاسع عشر، ثم تم نقله إلى المجتمعات العربية عن طريق الاحتلال في القرن العشرين، غير أن هذه الحركة لم تدعُ إلى بناء شخصية المرأة البناء السليم كما تدعي، وإنما دعت بشكل أكبر إلى انحلالها عن دينها وعن أخلاقها وعن قيم مجتمعها، فكان الاختلاط شعارهم، ومزاحمة الرجال ديدنهم، وهدم الأسر المجتمعية هو مذهبهم، حيث لم يعرفوا عن الإسلام إلا ما شربنه من الغرب المادي.

وفي ظل هذا الانحلال الأدبي والأخلاقي تسهم هذه الحركة بالنسبة الأكبر في هدم الوطن، فقد غفلت المرأة عن أقدس واجباتها كزوجة وأم وربة منزل فتهدمت تلك الأصول الثلاثة التي تبنى عليها حياة الأسرة وسعادة المجتمع.

٣– الإلحاد.

يعرف الإلحاد بأنه: "مصطلح عام يستعمل لوصف تيار فكري وفلسفي معاصر، يتمركز حول فكرة إنكار وجود خالق أعظم أو أية قوة إلهية بمفهوم الديانات السائدة لا يمكن إدراكه بحواس الإنسان أو بمنطق"[٢].

وقد ترك تيار الإلحاد آثارًا مدمرة للإنسان والمجتمع والأوطان بالتبعية، فقد ترك الإنسان في اضطراب دائم، وصراع نفسي مستمر، بعيدًا عن مهمته الرئيسية التي خلقها الله لأجله من عبادته تبارك وتعالى، وتعمير الكون، مما يترتب على هذا الأمر اتجاه الإنسان نحو النزعة الأنانية والفردية، فيسعى لخدمة مصالحه الخاصة فقط، وعدم الاكتراث بالآخرين، فبهذا يتجه الإنسان إلى المادية، ويترك رقابة الله تعالى، ولا يلتزم لا بقيم ولا بأخلاق، فيترتب عليها ارتكاب الجرائم والهروب من النظام المجتمعي.

ومن أعظم وأسوأ آثار هذا التيار وانتشاره هدم النظام الأسري، وتفكيك المجتمع البشري، الأمر الذي يؤدي إلى فساد المجتمعات وتدميرها داخليًّا، فتتحول المجتمعات والأوطان إلى أشلاء قائمة على البغض والظلم والقهر والنهب والدمار والخراب، الأمر الذي يفضي في النهاية إلى تدمير الأوطان.

---

[١] يمنى طريف الخولي، "النسوية وفلسفة العلم". (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي سي آي سي)، ١١.
[٢] عبد العزيز المحمدي، "الإلحاد في العصر الحاضر وموقف العقيدة الإسلامية منه". (ط١، ماليزيا، جامعة المدينة العالمية، ١٤٣٥هـ)، ٤٨.

الفرع الثالث: المنظمات الدولية المعادية.

تعددت المنظمات الدولية حسب تخصصاتها واهتماماتها ما بين حقوق الإنسان، وحقوق الطفل، والصحة، والثقافة ... وغيرها الكثير، وتلك المنظمات حسب إنشائها المنوط بها هو تأدية مهماتها في مجالاتها دون استغلال نفوذها سواءً سياسيًا أو اقتصاديًا أو تعليميًا أو ثقافيًا لتحقيق أي أغراض سياسية أو ثقافية لأعضاء في هذه المنظمات على حساب الآخرين، لكن الواقع ليس كذلك.

والواقع يثبت أن المنظمات الدولية –على اختلاف مهماتها– تخدم التوجه الغربي، وسياسة الكيل بمكيالين هي التي تحكم عمل المنظمات الدولية، وإن كانت تدعي أنها مستقلة ومحايدة، ولكن الواقع ومع مرور الأيام يؤيد أنها تسير حسب التوجيهات الغربية في التعامل مع الآخرين[١].

ومن ثم أصبحت هذه المنظمات من أكبر مهددات الوحدة الوطنية، ولا يهمها تحقيق الوحدة الوطنية بين أفراد المجتمع الواحد، بل كل ما يهمها هو تنفيذ مخططات الغرب وفقط، والوصول لأهدافهم.

ومع كثرة نشاطات هذه المجتمعات أصبحت تحظى بمكانة كبيرة في الشعوب "وذلك لما تقوم به من أعمال لها علاقة بالمتطلبات الأساسية للإنسان، كحماية الفئات المهمشة، وتحسين ظروف حياة الأفراد والمجتمعات من خلال مطالبة الدول باحترامها والضغط عليها لتحقيق ذلك. هذه الأعمال التي تقوم بها المنظمات الدولية غير الحكومية في المجال الدولي جعلها تؤثر على سيادة الدول وذلك في إطار عمليها المنوط بها"[٢].

المطلب الثاني: سبل مواجهة مهددات الوحدة الوطنية.

وإذا ذكرنا ثلاث عناوين رئيسة تمثل أهم عوامل تهديد الوحدة الوطنية، فالمقام يستدعي أيضًا كيفية مواجهة هذه المهددات؛ حفاظًا على مجتمعنا وعلى شبابنا من الانحراف.

ولا يكون هذا إلا عن طريق تعزيز مفهوم الانتماء إلى الوطن (صدق الانتماء).

صدق الانتماء هو الأساس في العلاقة بين الوطن والمواطن: فالعلاقة بين الوطن والمواطن علاقة فطرية، كل منهما يسعى للآخر، ويعمل من أجله، والأساس في ذلك صدق الانتماء، الذي يعدُّ مطلبًا ضروريًا في الحياة، إذ به يقوم الفرد بواجباته كاملة دون إفراط ولا تفريط، فالانتماء إلى الوطن موضوع من الموضوعات المهمة والضرورية في حياة الفرد والمجتمع التي برزت الحاجة إليها في الآونة الأخيرة، حين عصف ببلدان المسلمين كثير من الفتن والأهواء الضالة المضلة التي ركب

---

(١) علي بن نايف الشحود، "موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة". (بدون بيانات نشر)، ٢: ٢٥٥.

(٢) مساعد علي، "المنظمات الدولية غير الحكومية وتأثيرها على سيادة الدول". مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الاستراتيجية والعلاقات الدولية، ٢٠١٦م، ص: ٢.

موجتها من بَعُد منهجهم عن الكتاب والسنة، وضعف انتماؤهم لوطنهم، فخالفوا ما دعا إليه الإسلام، وأغفلوا ما أرشد إليه نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم، وتجاهلوا ما نادى به ولي أمرهم[1].

وترسيخ هذا المفهوم وتعزيزه لدى المواطن عن طريق وسائل الإعلام، والمدارس والجامعات، والمساجد، وغيرها من وسائل التوعية، يوجد علاقة قوية وطيدة إيجابية وفعالة بين المواطن وبين وطنه، فيؤدي دوره تجاه وطنه بكل مسئولية ونشاط ورقي بتقوى من الله عز وجل، ولكن "تعزيز مفهوم الانتماء إلى الوطن يلزم أن يكون وفق ضوابط شرعية تحكم الأفعال والسلوكيات عن طريق تحقيق عدد من الأسس المحكومة لتعاليم الإسلام وتوجيهاته"[2]، فيكون هذا بمثابة سد قوي منيع ضد انحراف الشباب تجاه أي غلو أو انحراف فكري أو محاولات معادية لهدم الوحدة الوطنية.

فتعزيز هذا الأمر له العديد من الآثار والنتائج الإيجابية للمواطن والوطن، أشير إلى بعض نقاطها[3]:

– تحقيق التوحيد لله عز وجل، وعدم الانفصال عن سنة النبي المختار صلى الله عليه وسلم، والحفاظ على الوسطية التي دعا إليها الإسلام، وتجنب المسالك المنحرفة التي تؤدي إلى الغلو والتطرف، وتقود إلى الإفراط والتفريط.

– الانتماء إلى المملكة العربية السعودية، بلاد الحرمين، بلاد التوحيد، وإعلاء كلمة الله عز وجل في أرجاء الوطن، والتشبع بالحس الوطني، وغرس حب الانتماء الإيجابي للوطن، وتقديم واجب السمع والطاعة لولي الأمر، وحفظ حقه، واحترام العلماء وتقديرهم، وتعزيز روح الانتماء وتأكيد الهوية الوطنية ومواجهة نزعات الانتماء الفرعي الضيق الذي يؤدي إلى التعصب والانغلاق، وإلى إضعاف روح الانتماء الوطني.

– الابتعاد عن الغلو الذي يؤدي إلى كثير من الأمور السلبية، ويقود إلى ابتداع شيء في الدين ليس فيه، ويحرم النفس لذة العمل، وأنس التضحية للوطن.

– الابتعاد عن الأفكار المنحرفة والمبادئ الضالة التي تلبس على الناس حياتهم، وتبعدهم عن المنهج الحق، وتجعلهم يتخبطون في ظلمات الجهل، فتكثر لديهم المشكلات، والهموم والوساوس.

– تربية أبناء الوطن على تقدير خيرات الوطن ومعطياته، والمحافظة على مرافقه ومكتسباته التي من حق الجميع أن ينعم بها، واستشعار فضل الوطن عليهم.

---

(1) انظر: مؤتمر واجب الجامعات السعودية وأثرها في حماية الشباب من الجماعات والأحزاب والانحراف، رؤية ٢٠٣٠، المجلد الخامس، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص: ١٥٥٧.

(2) المرجع السابق ص: ١٥٧٦.

(3) ينظر أهم هذه الآثار: د. بدر بن علي العبد القادر، "الانتماء إلى الوطن وأثره في حماية الشباب من الانحراف". (السجل العلمي لمؤتمر واجب الجامعات السعودية وأثرها في حماية الشباب من الجماعات والأحزاب والانحراف، الذي نظمته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٩هـ)، ص: ١٥٧٦.

– كذلك تحصين المجتمع وحمايته من الأفكار الضالة والهدامة التي تهدد وحدة البلاد، وتحصين الشباب خاص، وفئات المجتمع كافة بشكل عام، ضد مختلف النزعات الفكرية والأحزاب المنحرفة والمغالية(١).

ومن سبل تعزيز روح الانتماء، وحماية الوحدة الوطنية من الغلو والانحراف الفكري والثقافي:

١– إجراء توعية وطنية من خلال ندوات ومحاضرات مدروسة تبث من خلالها وسائل الإعلام مع بيان دور أهل العلم في الوعظ والإرشاد والخطب لبيان موقف الدين الإسلامي من الإرهاب(٢).

٢– تفعيل دور أجهزة الأحوال المدنية والجوازات وحرس الحدود والأجهزة الأمنية الأخرى والتدقيق على القادمين من الحدود، والتركيز على سبب القدوم وبالذات الذين يدخلون لأول مرة(٣).

٣– التعامل بكل جدية مع كافة الأحزاب والتنظيمات السرية والجهرية، والضرب بيد من حديد تجاههم واعتبار ذلك خطًا أحمر في مجال السيادة الوطنية، وضرورة فحص المنظومة الأمنية للعديد من الأهداف الحيوية والسفارات الأجنبية لمنع اختراقها وذلك من خلال جهة محايدة تتبع لجهة أمنية أو وزارة الدفاع، وسن تشريعات ملزمة قانونيًا فيما يخص الإجراءات الأمنية لكافة مداخل المرافق العامة من حيث اتخاذ كافة التدابير لمنع أي اختراق أمني لها وضرورة توفير أجهزة حديثة تساعد على ذلك(٤).

٤– تحقيق العدالة في التوظيف وإعطاء الأولوية للمواطن المؤهل ضمن معايير الكفاءة(٥)، والتزام كافة المؤسسات الَّتِي تمّ خصخصتها من أجل أن تقوم بدورها في البناء لمعالجة مشكلة الفقر والمساهمة في التنمية والحد من البطالة، فهي العامل الأساسي في التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الوطن(٦).

٥– مكافحة الفساد، وأن تأخذ العدالة مجراها على كل من يستغل موقعه، بحيث يطبق مبدأ الثواب والعقاب بتكريم أبناء الوطن المتميزين من قبل كافة المؤسسات والوزارات باحتفال يقام سنويًا لهذه الغاية(٧).

٦– التركيز على الإصلاحات الاقتصادية والأمنية والاجتماعي والسياسية والدبلوماسية من شأنه أن يجعل هذا الوطن بلدًا قويًا على الصعيد الداخلي والخارجي(٨).

---

(١) انظر: مؤتمر واجب الجامعات السعودية وأثرها في حماية الشباب من الجماعات والأحزاب والانحراف، جامعة الإمام محمد بن سعود، ٥: ١٥٧٦- ١٥٧٩.

(٢) ينظر: إبراهيم عبد القادر العمايرة، "التحديات الداخلية والخارجية المؤثرة على الامن الوطني". (الأردن: دار اليازوري العلمية، ٢٠١٨)، ١٨٧.

(٣) ينظر: المرجع السابق نفسه.

(٤) ينظر: إبراهيم عبد القادر العمايرة، "التحديات الداخلية والخارجية المؤثرة على الأمن الوطني"، ١٨٨.

(٥) ينظر: محمد كمال، "أربعة محاور لزيادة فعالية الموارد الشرية". (مصر: مركز الخبرات المهنية للإدارة، ٢٠١٦)، ٣٢٨.

(٦) ينظر: إسماعيل شكر، "مشاريع القطاع الخاص ودورها في الحد من البطالة"، (مركز الكتاب الأكاديمي، ٢٠١٦)، ٢٥.

(٧) ينظر: إبراهيم عبد القادر العمايرة، "التحديات الداخلية والخارجية المؤثرة على الأمن الوطني"، ١٩٠.

(٨) ينظر: عبد الله جاب الله، "نظرات في منهج التغيير بالقوة". (ط١، الرياض: العبيكان، ١٤٢٧هـ)، ١٢٣.

وهذه السبل هي خطوات فعَّالة إذا ما تم تنفيذها وتطبيقها عمليًا بالشكل المناسب لمواجهة أي تهديدات أو مؤامرات داخلية أو خارجية للوحدة الوطنية، وقد تم تفنيدها هنا بشكل يناسب جميع البلدان العربية والإسلامية للحفاظ على هويتها، وحماية أمنها الداخلي، وترسيخ وحدتها الوطنية من كل مظاهر العنف والغلو والانحراف، فهي صالحة بشكل عام لكل بلدان العالم الإسلامي، ولوطننا العربي.

المبحث الرابع

مقومات التسامح وسبل تعزيزها

المطلب الأول: مقومات التسامح.

وفيه أربعة أفرع:

إن للتسامح مقومات أساسية لابد لكل عاقل من فهمها ومراعاتها، وهذه المقومات على أنواع، فمنها المقومات الفكرية التي تؤصل للعديد من المبادئ، كالتعدد الإنساني، والانفتاح العقلي، ووعي المتعلم، والاعتراف بوحدة البشرية في بعض القواسم المشتركة، ومن المقومات أيضا، المقومات الدينية، التي تكفل على سبيل المثال حرية العقيدة، ومن ذلك أيضًا المقومات السياسية التي تنتهج توفير الآليات والسياسات الصحيحة في مواجهة العنف والتطرف، فضلا عن تحقيق النهضة الحضارية، ومن ذلك أيضًا المقومات الاجتماعية.

وقد تناولت هذه المقومات بشيء من التفصيل في الفروع التالية:

الفرع الأول: المقومات الدينية.

حرية العقيدة: يكفل الدين الإسلامي حرية العقيدة دون إكراه، فقد "تبوأت الحرية الدينية في الإسلام مكانة سامية، ومحلًا رفيعًا في النصوص الشرعية المقدسة، ثم في التطبيق العملي؛ لأن الإسلام جاء ليكفل الحرية الدينية للإنسان عامة"[1]. فإذا كان الإسلام لا يُكرِه الناس حتى يكونوا مسلمين، فقد رفع عن كاهلهم التعصب والبغض والعصبية، ودفعهم إلى التسامح والهدوء والسلام في المعاملات فيما بينهم، بعيدًا عن محاولات الغلو والتطرف في الدعوة إلى دين الله عز وجل، فكانت حرية العقيدة التي كفلها الدين الإسلامي أولى مقومات التسامح بين الناس.

أولُ آيات القرآن الكريم الداعية إلى التسامح، آية سورة الحجرات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات: ١٣]، "وهذه

(١) محمد الزحيلي، "الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية أبعادها وضوابطها". ص: ٣٨٤.

الدعوة مبنية على أساس أن تنوع اللغات والثقافات التي تؤدي غالبًا إلى صراعات حول الهوية هي آية من آيات الله في الكون لابدَّ أن تؤدي دورًا في التناغم والتعايش السلمي"(١).

ومن الآيات كذلك آية سورة النحل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل: ٩٠]؛ فالعدل والإحسان من أولى المبادئ والقيم الَّتِي دعا إليها الشرع الإسلامي. فنظم الإسلام العلاقات بين الناس عَلَى أساس من العدل والإحسان، في العلاقة بين الابن والوالدين، وبين الأم والأب، بين الزوج والزوجة، وبين الأقارب، بين الجيران، وبين الحكام والمحكومين، وبين المسلم وغير المسلم، وكلها علاقات قائمة عَلَى العدل والإحسان، المفضية إِلَى التسامح بينهم في الحياة. "والعدالة كقيمة ومقتضيات ولوازم، هي التي تقود الإنسان إلى تجاوز كل الأنانيات وتخطّي كل العصبيات التي تُفضي إلى العسف والجور، ويأمر الله تعالى عباده بالعدل والإحسان في كل أحوالهم وأطوار حياتهم، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل: ٩٠]، ومن خلال هذه المنظومة القيمية والأخلاقية المتضمنة في الآية الكريمة، فإنه مطلوبٌ من الإنسان المسلم دائمًا وأبدًا، وفي جميع أحواله، أن يلتزم بمقتضيات التسامح ومتطلبات العدالة(٢).

وكذلك حفظ الكتاب والسنة ووجودها بين أيدينا: إن وجود كتاب الله بين أيدينا، وسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المحفوظة بين أيدينا لهو أهم مقوم من مقومات التسامح والحياة السوية الهادئة بين الناس، فتتبع آيات الله في كتابه على نور وبصيرة، وتتبع سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصحيحة على نور وبصيرة هي أهم مقومات التسامح والحياة الطيبة والتعايش السلمي في المجتمع، فحريٌّ بنا أن نحفظ كتاب الله وسنة رسوله إذا أردنا الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾ [النحل: ٩٧].

الفرع الثاني: المقومات الفكرية.

الإقرار بمبدأ التعدد الإنساني: وبمعنى آخر التعايش مع الآخرين، الاعتراف بهم، واحترامهم، والتعايش معهم على أن الحقوق متساوية فهم جميعًا بشر، فهذا هو أصل التعدد وليس النزاع

(١) د. نجم عبد الرحمن خلف، د. عبد الرحمن عبيد حسين، "مقومات التسامح الاجتماعي في ضوء القرآن الكريم". (ماليزيا: جامعة العلوم الإسلامية، ٢٠١٥م)، ص: ٧٦.
(٢) انظر: محمد شاه جلال، "دعوة الإسلام إلى السلم". (مجلة دراسات، الجامعة الإسلامية العالمية، شيتاغونغ، المجلد الثالث، ٢٠٠٦)، ص: ١٢٦.

والصراع؛ إذ من الضروري لكافة المجتمعات أن تقوم على ثقافة التسامح مع الآخرين، والعيش بهناء وسلام بين أبناء المجتمع الواحد؛ لتحقيق الأمن والاستقرار فضلاً عن التقدم والنهوض، وليس معنى الاعتراف أو الاحترام أو التعايش مع الآخر هو الإقرار بفكرته، أو الرضى بها، أو التسليم لها[١].

وكذلك الانفتاح العقلي: الذي يقوى على البحث عن الحقيقة في كل شيء، وفي كل ظاهرة، بمرونة تفكير، وتعايش مع العقول الأخرى، والتعامل مع المواقف الصعبة والمجهولة[٢].

وكذلك وعي المتعلم، والإيثار الذي يرافق هذا الوعي بحيث يجعل من علمه ثقافة، تتمثل في رقي حضاري وإنساني، والسعي إلى المصلحة العامة وليست المصلحة الشخصية فقط[٣].

ومن أهم المقومات الفكرية للتسامح: الاعتراف بوحدة البشرية واشتراكها في العقل العام الشامل الذي منَّ الله به على كافة البشر بجميع أطيافهم وألوانهم، فكل الناس يفكرون ويتخيلون ويتصورون[٤]، وكل الناس يتمتعون بالذكاء الفطري بدرجات متفاوتة بينهم؛ فهذا القاسم المشترك بين عقول البشر حقيقة مؤكدة تشير إلى ضرورة انضواء الجميع تحت راية الوطن.

الفرع الثالث: المقومات السياسية.

النهضة الحضارية: والقدرة على التوفيق بين التنوع الثقافي القائم، مما يؤدي إلى استيعاب الغير، واستيعاب ثقافته، واحتضان الحضارات الأخرى في إطار من التوافق والتواؤم[٥].

الآليات والسياسات الصحيحة في مواجهة العنف والتطرف: لابد من معرفة وتقصي الأسباب الحقيقة المسببة لمظاهر العنف، والعمل بجدية تامة على إعادة بناء الوعي الإنساني لمناهضة العنف؛ إذ إن رفض العنف بكافة مظاهره وأساليبه يجب أن ينبع من داخل الفرد نفسه[٦]، وهذا يتطلب الإيمان الكامل والتام بمبدأ التسامح.

كذلك السعي إلى العدالة الاجتماعية، التي تنتج التسامح والعفو، ونشر روح التسامح والاختلاف وتقبل الآخر[٧]. وأيضًا الانتصار للحق والعدل؛ فالتسامح هو قبول الاختلاف،

---

(١) ينظر: محمود علي عواد الحراحشة، "مناهضة التطرف والإرهاب في فكر جلالة الملك عبد الله الثَّانِي". (ط١، الأردن: دار الخليج للنشر والتوزيع، ٢٠٢١)، ١٠٢.

(٢) ينظر: د. مهدي الطاهر، "نظام ضمان الجودة التعليمية وتنمية قدرات التفكير الابتكاري". (ط١، الأردن: ديبونو للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١١)، ٣٨.

(٣) مُحَمَّد عبد الله خضيرات، "استراتيجيات التفكير العميق". (ط١، الأردن: دار الكتاب الثقافي، ٢٠٢٠)، ٢٩.

(٤) ينظر: ولاء رجب عبد الرحيم، "الضغوط النفسية للمتفوقين وكيفية مواجهتها". (ط١، القاهرة: دار العلوم للنشر والتوزيع، ٢٠١٦)، ٨٨.

(٥) ينظر: إبراهيم بدران، "النهضة وصراع البقاء.. من مأزق التخلف إِلَىٰ آفاق التقدم". (ط١، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥)، ٧٢.

(٦) ينظر: د. جميل أبو العباس الريان، "المتطرفون.. نشأة التطرف الفكري وأسبابه وآثاره وطرق علاجه". (ط١، مصر: النخبة للطباعة والنشر، ١٤٣٧هـ)، ١٣٥.

(٧) د. أماني جرار، "التربية الإنسانية والأخلاقية". (الأردن: دار اليازوري العلمية، ٢٠١٦)، ٢١.

والاستقلال والتنوع[١]. وأيضًا الوعي الثقافي بشكل عام، والوعي السياسي بشكل خاص من أهم مقومات التسامح في المجتمع.

وأيضًا حسن إدارة الدولة، وحسن إدارة الشئون العامة، والشفافية، والقضاء المستقل، هي من أهم مقومات انتشار التسامح.

وأخيرًا فإن حالة السلم والسلام الذي تعيشه الدولة، هو من أكبر مقومات التسامح.

الفرع الرابع: المقومات الاجتماعية.

دعمُ الحياة الإنسانية الراشدة، ونبذ الأمراض المجتمعية التي قد تهدم المجتمع، كالعنصرية والعرقية، والإقرار بالتنوع الموجود في الطبيعة، فليس هناك جنسًا أسمى أو أرقى، إنما هي أخلاقيات يتفاضل بها الناس.

وكذلك الإقرار بندِّية الآخرين، فالجميع ليسوا سواء، وإنما التمايز يكون بالعمل والعلم والإبداع الذي ينفع المجتمع[٢].

وأيضًا محاولة إخضاع القناعات الخاصة لضرورات الحياة المشتركة، ومحاولة تحقيق التوافق بين وجهات النظر المتباينة، سواء في الآراء أو القناعات أو الأفعال، لا في العقائد والديانات[٣].

وكذلك انتقاء العنصر الصالح فقط من العادات والتقاليد التي ورثناها عن الماضي، والتي تركز على مفاهيم السلم والتسامح[٤].

وأيضًا التفاهم والعدالة الاجتماعية والحوار والاستعداد للحوار، وتعلم أصول وآداب الحوار[٥].

وأخيرًا التعامل مع أخطاء الآخرين بدون تكلف في تقديرها من أكبر مقومات التسامح.

المطلب الثاني: سبل تعزيز مقومات التسامح[٦].

أ- في سبيل تعزيز مقومات التسامح لابد من تركيز الدراسة في مختلف الكليات والصفوف الدراسية على تعزيز قيم التسامح لدى الطلاب، من خلال تنمية شخصية الشباب في كل جوانبها العقلية

---

(١) ينظر: محمود يوسف الكبرا، "المؤامرة الكبرى عَلَىٰ بلاد المشرق". (سوريا: دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٩)، ١٠٧.

(٢) ينظر: رضى مُحَمَّد الداعوق، "العولمة.. تداعياتها وآثارها وسبل مواجتها". (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥)، ١٢١.

(٣) ينظر: عادل العوَّا، "التسامح: من العنف... إلى الحوار". (دمشق: دار الفاضل، ٢٠٠٢)، ١٦٢.

(٤) ينظر: فوزية عيد مرجي، "العقل ووظيفته.. منهج فكر الدكتور زكي نجيب محمود الفلسفي". (الأردن: دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨)، ٤٠.

(٥) ينظر: عبد العلي الودغيري، "لغة الأُمَّة ولغة الأم.. عن واقع اللُّغَة العربية في بيئتها الاجتماعية والثقافية". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٣)، ١٦٩.

(٦) ينظر: فايزة أحمد الحسيني مجاهد، "مداخل واستراتيجيات وطرائق حديثة في تعليم وتعلم الدراسات الاجتماعية". (ط١، الإسكندرية: دار التعليم الجامعي، ٢٠٢١)، ٣٩٥.

وينظر: د. حمدي عبد الظَّاهِر، "القنوات الفضائية المتخصصة". (ط١، القاهرة: دار ضمة، ١٤٤١هـ)، ٧٨.

وينظر: د. مُحَمَّد إليامي، مقال بعنوان: "يوم التسامح العالمي". بتاريخ (١١/ ٤/ ١٤٤٣هـ). عَلَىٰ موقع الوطن: https://www.watannews-sa.com/articles/251540.html

والسلوكية والفكرية والثقافية والأخلاقية بشكل متوازن، وإكسابه هذه القيم التي تجعل منه شخصًا سويًا بين الناس في المجتمع.

ولن تقوم المدرسة والجامعة بهذا الدور المنوط بها تجاه الطلاب إلا من خلال نمط إداري يناسب هذا الهدف بغرس حب التسامح والبعد عن التعصب والكراهية للغير، وغرس روح التعاون.

ب- المشاركة الفعالة لوسائل الإعلام المختلفة في الندوات وتنظيم الفعاليات لنشر هذا الأمر بين الناس في المجتمع، والتركيز على نقل الصورة الإيجابية للمجتمع في هذا الأمر، ونبذ فكر التعصب وكره الغير، والعمل على ذلك في البرامج المباشرة والمسجلة، واستضافة أساتذة الجامعات والعلماء في برامج حوارية مع الشباب لتعزيز قيم التسامح فيهم.

وأيضًا على الإعلام التصدي للغلو والانحراف ووقف المقالات الصحفية التي تدعو إلى ذلك، أو البرامج سواء من الإعلام الخاص أو العام؛ لتعزيز نشر التسامح بين الناس.

ج- سن تشريعات وقوانين شديدة مغلظة من خلال المجالس التشريعية في حق كل من يدعو للغلو أو الانحراف، أو ينشر التعصب في المجتمع، والتصدي بحزم لأي دعوة فيها استعداء للغير أو غلو أو تحريض ضد الغير.

وتطبيق القانون بحزم على كل جرم ينافي أخلاقيات المجتمع، أو ينشر الفاحشة أو الفتنة بين الناس، وتجريم العنصرية والطائفية والطبقية، والمناطقية، ونحوها.

د- دعم الدولة لمؤسساتها المختلفة وتوجيهها للتركيز على نشر قيم التسامح والعفو والإحسان بين الناس في المجتمع، سواء عن طريق المؤتمرات، أو الندوات، أو حملات التوعية بمختلف أنواعها.

هـ- دراسة الأسباب الحقيقية للعنف والعنصرية، والعمل على معالجة هذه الأسباب؛ ليحل محلها التسامح والتعايش السلمي.

و- سن قوانين في ضبط الموروث الفكري والثقافي، ومنع كل ما من شأنه التأثير على تعزيز التسامح، سواء أكان من البرامج الاجتماعية العامة، أم من الكتب والمقالات، ومراجعة السوق التجارية، ومحاولة ضبطها في النشر والتصنيف.

ز- سن قوانين ضابطة للأنشطة المجتمعية العامة.

الخاتمة

النتائج:

١- أن التسامح خلق كريم، وفضيلة إسلامية كبرى، لا يصدر إلا عن نفس كبيرة وعقل راجح وقلب نقي طاهر.

٢- أن التماثل والتفاوت بين الكائنات ظاهرة كونية، ماثلة بأدنى تفاوت، فلا يوجد زوجان يتفقان في جانب إلا اختلفا في بعض الجوانب.

٣- أن الناس مختلفون اختلافاً بيناً في بنيتهم الخَلقية والخُلقية والنفسية والسلوكية والعقلية.

٤- أن الإسلام يرى أن الاختلاف لا يجوز أن يكون عائقا أمام توحيد جهود الناس وتعاونهم فيما بينهم، ولا أن يكون منطلقاً للنزاع والشقاق بين الأُمم والشعوب، بل ينبغي أن يكون دافعاً إلى التعارف والتآلف بين الناس.

٥- أن الاختلاف هو الوسيلة لإثراء العالم بالمزايا المتجددة، والملكات المتعددة، والمواهب والاستعدادات المتنوعة.

٦- أن التسامح يعني اتساع الكون للخلق بتنوعهم العرقي، والفكري، والثقافي، والعقدي الذي خلقهم الله عليه.

٧- أن التسامح في الإسلام ليس بالكلام النظري المستهلك في قاعات التنظير، وإنما هو أسلوب حياة ومنهج مجتمع.

٨- أن المفهوم المعاصر للتسامح والمتعارف عليه دولياً يدور حول معاني: قبول اختلاف الآخرين، سواء في الدين أم العرق أم السياسة، أو عدم منع الآخرين من أن يكونوا آخرين، أو عدم إكراههم على التخلي عن قناعتهم.

٩- أن التسامح يصون الوحدة الوطنية ويحفظها من عوامل النحت والتجريف الخارجية التي تحاول النيل منها.

١٠- أن التسامح يزيد من قوة الترابط الداخلي بين أبناء المجتمع، ويسهم في صيانة الصحة النفسية والاجتماعية لأبناء الوطن ويعمل على تقليل مساحة الخلاف بين أبنائه

١١- أن التسامح يساعد على تصحيح مسارات الجماعات الضالة غلوًا وجفاءً واحتواء الشباب المستقطب بعيدًا عن الوحدة الوطنية.

التوصيات:

١- أوصي بتفعيل الحوارات الحضارية التي تُعلي من شأن التسامح؛ لكونه فضيلة من فضائل الإسلام العظيمة، والمجتمع الإنساني بشكل عام.

٢- أوصي المختصين من أهل العلم بضرورة نشر وتحقيق التراث الذي يؤصل لقيم التسامح، مع إبراز أثره الفعال في تقوية أواصر الوحدة الوطنية.

٣- إنتاج المواد الصوتية والمرئية والمقروءة من ذوي الشأن والتي تُعالج الخلل الناشئ عن غياب قيم التسامح، وتدعو المجتمع إلى فهم هذه القيم وتفعليها في حياتهم اليومية.



٤- السعي الحثيث في إيجاد مؤسسة حكومية متخصصة في نشر التسامح في الوطن بين كل مكوناته، وبكل ما يتناسب مع أطيافه، والعمل على زرع التسامح في مناهج التعليم اليومي للطلاب، والطالبات، وجعله عملاً مؤسسًا.

٥- سن قوانين وأنظمة شرعية ضابطة للمجتمعات، والدول، نحو تعزيز التسامح.

٦- أخيرًا: أوصي بجعل مؤسسة حكومية تعنى بالتسامح، ويكون لها وزيرًا للتسامح، وتكون لها جوائز محلية ودولية عالمية.

المصادر والمراجع

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، "زاد المسير في علم التفسير". (ط٣، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٤م).

ابن بطال، علي بن خلف، "شرح صحيح البخاري". تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم. (ط٢، السعودية: مكتبة الرشد، ٢٠٠٣م).

ابن سعدي، عبد الرحمن بن ناصر، "تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان". تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، (ط١، السعودية: مؤسسة الرسالة،٢٠٠٠م).

ابن كثير، إسماعيل بن عمر، "البداية والنهاية". تحقيق: على شيري. (ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨م).

ابن كثير، إسماعيل بن عمر، "تفسير القُرآن العظيم". تحقيق: سامي سلامة. (ط٢، القاهرة: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م).

ابن منظور، محمد بن مكرم، "لسان العرب"، (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٩٩٣م).

أبو العزايم، محمود، "التسامح والصحة النفسية": مقال منشور على الموقع الرسمي للكاتب، على هذا الرابط:
https://www.elazayem.com/public/upload/mental_peace/pdf/1516392058_112.3.pdf

أبو خليل، شوقي، "التسامح في الإسلام.. المبدأ والتطبيق". (ط١، بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١٤هـ).

الآبي، منصور بن الحسين، "نثر الدر". تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م).

الأشعري، علي، "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين"، (ط٣، ألمانيا: دار فرانز شتايز، ١٩٨٠م).

إليامي، مُحَمَّد، مقال بعنوان: "يوم التسامح العالمي". بتاريخ (١١/ ٤/ ١٤٤٣هـ). عَلَى موقع

الوطن:
https://www.watannews-sa.com/articles/251540.html

الأندلسي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه، "العقد الفريد". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ).

أيوب، أحمد بن سليمان، ونخبة من الباحثين، "موسوعة محاسن الإسلام ورد شبهات اللئام". (ط١، دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع – دار وقية دعوية، ١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥ م).

باحو، مصطفى، "العلمانية – المفهوم والمظاهر والأسباب" (ط١، المغرب: جريدة السبيل، ٢٠١١م).

البخاري، محمد بن إسماعيل، "صحيح البخاري". تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (ط١، بيروت: دار طوق النجاة، ٢٠١٢م).

بدران، إبراهيم، "النهضة وصراع البقاء.. من مأزق التخلف إِلَىٰ آفاق التقدم". (ط١، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥).

بدرانة، مهدي – سليم، وائل – الشمراني، علي، "مفهوم التسامح ودور المؤسسات التربوية في ترسيخه لدى الأفراد". (مجلة دراسات في التعليم العالي، العدد الخامس، يوليو ٢٠١٣م).

التِّبْريزي، يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ، "شرح ديوان الحماسة". (بيروت: دار القلم).

جرار، أماني، "التربية الإنسانية والأخلاقية". (الأردن: دار اليازوري العلمية، ٢٠١٦).

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين، "التعريفات". تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر. (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م).

الجزري، مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير، "النهاية في غريب الحديث والأثر"، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي. (بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ).

جلال، محمد شاه، "دعوة الإسلام إلى السلم"، (مجلة دراسات، الجامعة الإسلامية العالمية، شيتاغونغ، المجلد الثالث، ٢٠٠٦).

الجوهري، إسماعيل بن حماد الصحاح، "تاج اللغة وصحاح العربية". تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. (ط٤، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م).

الحراحشة، محمود علي عواد، "مناهضة التطرف والإرهاب في فكر جلالة الملك عبد الله الثَّانِي". (ط١، الأردن: دار الخليج للنشر والتوزيع، ٢٠٢١).

خضيرات، مُحَمَّد عبد الله، "استراتيجيات التفكير العميق". (ط١، الأردن: دار الكتاب الثقافي، ٢٠٢٠).

خطوف، عبد الرحيم، "الخلاف في الفقه والعقيدة – دراسة في أسبابه، وآثاره، وطرق تحريره". (ط١،

بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٨).
الخلف، سعود بن عبد العزيز، "أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة"، (المملكة العربية السعودية، ١٩٩٩م).
خلف، نجم عبد الرحمن وحسين، عبد الرحمن عبيد، "مقومات التسامح الاجتماعي في ضوء القرآن الكريم"، (ماليزيا: جامعة العلوم الإسلامية، ٢٠١٥م).
خليل، أحمد سيد، "مصادر التسامح في التراث الإسلامي"، (مجلة الخليج، ٢٠١٧م).
الخولي، يمنى طريف، "النسوية وفلسفة العلم". (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي سي آي سي).
الداعوق، رضى مُحَمَّد، "العولمة.. تداعياتها وآثارها وسبل مواجتها". (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥).
درويش، عبد العزيز أسعد، "آليات تعزيز الوحدة الوطنية بين القوى والفصائل الفلسطينية وأثرها في التنمية السياسية". إشراف: د. نايف أبو خلف. قدمت هذه الأطروحة استكمالًا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التخطيط والتنمية السياسية بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، ٢٠١٠م.
الرازي، أحمد بن فارس، "المقاييس في اللغة". تحقيق: عبد السلام هارون، (القاهرة: دار الفكر، ١٩٧٩م).
الرازي، أحمد بن فارس، "مجمل اللغة". دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، (ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م).
الرازي، محمد بن أبي بكر، "مختار الصحاح". تحقيق: يوسف الشيخ محمد، (ط٥، بيروت – صيدا: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، ١٩٩٩م).
الرازي، محمد بن عمر، "التفسير الكبير"، (ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٩م).
الريان، جميل أبو العباس، "المتطرفون.. نشأة التطرف الفكري وأسبابه وآثاره وطرق علاجه". (ط١، مصر: النخبة للطباعة والنشر، ١٤٣٧هـ).
الزحيلي، محمد، "الحرية الدينية في الشريعة الإسلامية أبعادها وضوابطها".
الزعيم، إبراهيم صقر إسماعيل، "التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس ما بين ١٨٩٧-١٩٩٤". (ط١، لندن: إي– كتب، ٢٠١٩).
زقزوق، محمود حمدي، "الإسلام وقضايا الحوار"، (القاهرة: مطابع الأهرام التجارية، ٢٠٠٠م).
السيوطي، جلال الدين، "الأشباه والنظائر"، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م).
الشحود، علي بن نايف، "موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة"، (بدون بيانات نشر).

شكر، إسماعيل علي، "مشاريع القطاع الخاص ودورها في الحد من البطالة"، (مركز الكتاب الأكاديمي، ٢٠١٦).

الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر، "الملل والنحل". (مؤسسة الحلبي).

الطاهر، مهدي، "نظام ضمان الجودة التعليمية وتنمية قدرات التفكير الابتكاري". (ط١، الأردن: ديبونو للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١١).

الطبري، محمد بن جرير، "جامع البيان عن تأويل آي القرآن". تحقيق: مجموعة من المحققين. (ط١، المملكة العربية السعودية: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ٢٠٠١م).

العاصي، يوسف، "الحملة الصليبية عَلَى العالم الإسلامي". (ط٢، مصر: صوت القلم العربي، ١٤٣١هـ).

عبد الرحيم، ولاء رجب، "الضغوط النفسية للمتفوقين وكيفية مواجهتها". (ط١، القاهرة: دار العلوم للنشر والتوزيع، ٢٠١٦).

عبد الظَّاهِر، د. حمدي، "القنوات الفضائية المتخصصة". (ط١، القاهرة: دار ضمة، ١٤٤١هـ).

العبد القادر، بدر بن علي، "الانتماء إلى الوطن وأثره في حماية الشباب من الانحراف". (السجل العلمي لمؤتمر واجب الجامعات السعودية وأثرها في حماية الشباب من الجماعات والأحزاب والانحراف، المجلد الخامس، الذي نظمته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٩هـ).

عبد القاهر البغدادي، أبو منصور بن طاهر بن محمد بن عبد الله الأسفراييني، "الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية". (ط٢، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٧م).

علي، مساعد، "المنظمات الدولية غير الحكومية وتأثيرها على سيادة الدول"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الاستراتيجية والعلاقات الدولية، ٢٠١٦م.

العمايرة، إبراهيم عبد القادر، "التحديات الداخلية والخارجية المؤثرة على الامن الوطني". (الأردن: دار اليازوري العلمية، ٢٠١٨).

عمر، أحمد مختار، "معجم اللغة العربية المعاصرة"، (ط١، القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٨م).

العوَّا، عادل، "التسامح: من العنف... إلى الحوار". (دمشق: دار الفاضل، ٢٠٠٢).

عواجي، غالب، "المذاهب الفكرية المعاصرة ..."، (ط١، جدة: المكتبة العصرية الذهبية، ١٤٢٧هـ).

غيات، بوفلجة، "دور التربية في تعزيز قيم المواطنة والوحدة الوطنية"، (كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران).

الفراهيدي، الخليل بن أحمد، "العين". تحقيق: د مهدي المخزومي، (بيروت: دار ومكتبة الهلال).

الفقيهي، علي بن محمد، "عرض ونقد دراسة نقدية وتوجيهية لكتاب دراسة عن الفرق في تاريخ

المسلمين الخوارج والشيعة"، (المدينة المنورة: مجلة الجامعة الإسلامية، العدد ١٠١، ١٠٢، السنة السادسة والعشرون، ١٩٩٥م).

القاسمي، جمال الدين، "ميزان الجرح والتعديل". (مجلة المنار) د.ب.

الكبرا، محمود يوسف، "المؤامرة الكبرى عَلَىٰ بلاد المشرق". (سوريا: دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٩).

الكفوي، أيوب بن موسى، "الكليات". تحقيق: عدنان درويش (بيروت: مؤسسة الرسالة).

المالكي، أبو محمد عبد الوهاب، "المعونة على مذهب عالم المدينة"، تحقيق: حميش عبد الحقّ. (مكة المكرمة: المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز).

مجاهد، فايزة أحمد الحسيني، "مداخل واستراتيجيات وطرائق حديثة في تعليم وتعلم الدراسات الاجتماعية". (ط١، الإسكندرية: دار التعليم الجامعي، ٢٠٢١).

محفوظ، محمد، "الشيعة اليوم.. إشكاليات الهوية والاندماج". (ط١، بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ٢٠١٤).

محمد، إبراهيم عبد القادر، التحديات الداخلية والخارجية المؤثرة على الأمن الوطني الأردني في الفترة (١٩٩٩- ٢٠١٣)، (الأردن: جامعة الشرق الأوسط).

المحمدي، عبد العزيز، "الإلحاد في العصر الحاضر وموقف العقيدة الإسلامية منه". (ط١، ماليزيا، جامعة المدينة العالمية، ١٤٣٥هـ).

مراد، علي عباس، رزاق، فاتن محمد. "التسامح في بعض الحضارات القديمة"، بدون بيانات نشر.

مرجي، فوزية عيد، "العقل ووظيفته.. منهج فكر الدكتور زكي نجيب محمود الفلسفي". (الأردن: دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨).

مصطفى، إبراهيم والزيات، أحمد وعبد القادر، حامد والنجار، محمد. "المعجم الوسيط"، (القاهرة: دار الدعوة).

مصطفى، محمد كمال، "أربعة محاور لزيادة فعالية الموارد الشرية". (مصر: مركز الخبرات المهنية للإدارة "بميك"، ٢٠١٦).

مؤتمر واجب الجامعات السعودية وأثرها في حماية الشباب من الجماعات والأحزاب والانحراف، رؤية ٢٠٣٠، المجلد الخامس، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

النفيلي، علي، "الإنسان بين العنف والتسامح". (ط١، مصر: مكتبة الشروق الدولية، ١٤٣٤هـ).

النيسابوري، مسلم بن الحجاج، "صحيح مسلم". تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي).

الوادعي، مقبل بن هادي، "الباعث على شرح الحوادث"، (ط٢، اليمن: مكتبة صنعاء الأثرية،



٢٠٠٤م).

الوادعي، مقبل بن هادي، "مشاهداتي في المملكة العربية السعودية"، (ط١، صنعاء: دار الآثار للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م).

الودغيري، عبد العلي، "لغة الأُمَّة ولغة الأم.. عن واقع اللُّغَة العربية في بيئتها الاجتماعية والثقافية". (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٣).